شعر معروف الرصافي

في ضوء النقد الإيكولوجي

بقلم الدكتور

محمد عبد الناصر محمد العنتبلي

مدرس الأدب والنقد في كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الخامس (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي

محمد عبد الناصر محمد العنتبلي

قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية للبنين بجرجا ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : MohamedElantably2512.el@azhar.edu.eg

الملخص

إن النقد الأدبي البيئي (الإيكولوجي) يُعنى بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية ، وعلى الرغم من أن ظهور مثل هذه الدراسات النقدية جاء متأخرًا بعض الشيء مقارنة بالدراسات اللغوية أو الأدبية لكنه استطاع أن يشكل حركة تنوير عالمية أثرت المكتبة الأدبية والنقدية .

وهذا البحث يهدف إلى تأصيل النقد الأدبي البيئي الإيكولوجي بغية استخدامه منهجًا نقديًا مستقلاً بذاته؛ ولذا سعيت إلى البحث في نشأته، وتحديد مفهومه؛ حتى يتسنى لي دراسة النقد البيئي في الأعمال الأدبية أولاً، ومن ثم في الأعمال النقدية أيضًا .

فتناولت فيه الحديث عن مفهوم النقد البيئي الإيكولوجي، مع محاولة تحديد المصطلح ، والنشأة ، وحتى لا يبدو طرحي نظريًا فحسب، فقد عرجت على تطبيق هذا المنهج على نص شعري من النصوص الحديثة لشاعر كبير من أصل عراقي هو الشاعر معروف الرصافي ، فقد وجدتُ أن في أعماله الشعرية يتجلى الإحساس بالمكان، وحيث إن الإحساس بالمكان جزء من الوعي البيئي؛ لذلك فإن أشعاره تصلح – فيما أرى– لدراسة هذا المنهج النقدي الحديث .

الكلمات المفتاحية: معروف الرصافي ، النقد الإيكولوجي ، النقد البيئي .

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

Marouf al-Rusafi's poetry in the light of ecological criticism

Mohamed Abdel Nasser Mohamed El-Antably
Department of Literature and Criticism at the Faculty of Arabic Language for Boys, Gerga, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: MohamedElantably2512.el@azhar.edu.eg

Abstract

Environmental literary criticism (ecological) is concerned with the study of the relationship between literature and the physical environment, and although the emergence of such critical studies came somewhat late compared to linguistic or literary studies, it was able to constitute a global enlightenment movement that enriched the literary and critical library.

This research aims to root ecological literary criticism in order to use it as an independent critical approach. Therefore, I sought to research its origins and define its concept. So that I can study environmental criticism in literary works first, and then in critical works as well.

In it, I talked about the concept of ecological environmental criticism, with an attempt to define the term and its origins, and so that my thesis does not seem theoretical only. Poetics manifests the sense of place, and since the sense of place is part of environmental awareness; Therefore, his poems are suitable - in my opinion - to study this modern critical approach.

Keywords : Marouf Al-Rusafi, ecological criticism, environmental criticism

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أحاط بكل شيء علمًا ، وأحصى كل شيء عددًا ، له ما في السماوات ، وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ــ ﷺ ــ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . **أما بعد**

فقد عزمت ــ بفضل الله سبحانه وتعالى ــ أن أسلط الضوء على أحد المفاهيم المعاصرة لدراسة النص وتطبيق هذا المنهج على نتاج شاعر من الشعراء المجيدين في العصر الحديث ، والذين لم ينالوا نصيبهم من الشهرة كغيرهم من الشعراء ، ومن ثم فقد طالعت ديوانه الشعرى ، ومن خلال هذه القراءة لإبداعه الشعري تكشف لي عن سعة ثقافته ، واستقلال رؤيته ، وبراعته الفنية ، بالإضافة إلى اهتمامه بالطبيعة والبيئة المحيطة به ، فقد ظهر تنوع الرؤى البيئية داخل شعره إلى صور متعددة منها ما يشير إلى تطبيع الإنسان أو أنسنة الطبيعة ، ومنها ما يحذر من تدميرها وخرابها، ويدعوا إلى المحافظة عليها والألفة معها ، ومنها ما يرمز إلى الاندماج في مكوناتها ، ومن ثم جاءت هذه الدراسة بعنوان : شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي .

أسباب اختيار الموضوع و أهميته :

يأتي هذا البحث محاولة نحو تأصيل النقد الأدبي البيئي (الإيكولوجي AL ecology) من خلال سبر أغواره في الأدب المعاصر؛ ليتيح هذا البحث أمام القارئ رؤى نقدية جديدة ينهل منها فتساعده في كشف العديد من بواطن المعاني التي تكمن في ثنايا الأعمال الأدبية .

وقد جاء اختياري لهذه الدراسة اهتماماً مني بهذا المصطلح المعاصر وتطبيقه على شاعر من الشعراء المتميزين ، والذي تميز نتاجه الشعري بالانسجام الواضح مع الطبيعة وتأثره بالبيئة المحيطة ، مما جعله شعرًا إيكولوجيًا من الدرجة الأولى ، ولا يقصد بشعر البيئة وصفه الخارجي ، إنما يقصد به الإحساس بالبيئة لدى المبدع وتفاعله معها بوصفها كائنًا حيًا ، وبحيث يغدو المبدع جزءًا من البيئة .

الدراسات السابقة :

هناك العديد من الدراسات التي تناولت شعر معروف الرصافي ؛ لما يتميز به من جودة نتاجه الشعري ، وقدرته الفنية ، إلا أن هذه الدراسات لم تتعرض إلى النقد الإيكولوجي من قريب أو بعيد ، ومن هذه الدراسات :

١- تجليات الرفض والتمرد في شعر معروف الرصافي، للطالبة/ أسماء وهاب، بحث منشور في جامعة أكلي محند أولحاج البويرة ــ الجزائر ــ ٢٠١٥م .

٢- الصورة الحركية في شعر معروف الرصافي ــ نماذج مختارة ــ للباحثة/ هدى عثمان حسن ، بحث منشور في كلية اللغة العربية بأسيوط ــ جامعة الأزهر ــ الإصدار الأول ــ العدد الأربعون ــ ٢٠٢١م .

٣- الجانب الإنساني في شعر معروف الرصافي ــ للباحث/ جمال محمد حسانين، بحث منشور في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية ــ جامعة الأزهر ــ العدد الخامس والعشرون ــ ٢٠٢١م .

٤- ثلاثية الفقر والمرأة والطفولة كما يصورها معروف الرصافي ــ منجد مصطفى بهجت ــ بحث منشور في مجلة التجديد .

٥- تمظهرات المرأة وحقوقها في شعر معروف الرصافي ــ للباحث/على خضري بحث منشور في مجلة التأصيلية ــ العدد الثامن عشر ــ عام ٢٠٢٠م .

٦- التكرار الاستهلالي في شعر معروف الرصافي ، للباحث / على حيدر ، بحث منشور في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ــ العدد الثالث .

٧- الحنين والغربة في شعر معروف الرصافي ، غالم عباس ، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، ٢٠١٨م .

٨- معروف الرصافي والفكرة الاجتماعية في شعره: دراسة تحليلية ، للباحث/ ذاكر حسين جمشيد الندوي، بحث منشور بمجلة كيرالا ، بالهند ، العدد ١٣ .

وعلى الرغم من كثرة البحوث والدراسات حول نتاج الشاعر معروف الرصافي ، إلا أنني لم أعثر ــ فيما اطلعت عليه ــ على دراسة تقترب من دراستنا حول النقد الإيكولوجي ؛ حيث إن هذه الدراسة جديدة من نوعها ، فلم يتطرق لها أحد من الباحثين بالتطبيق على نتاج الشاعر العراقي معروف الرصافي.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في عدم إعطاء تعريف محدد ودقيق للنقد الإيكولوجي بسبب جِدَّته وحَدَاثته في الدراسات النقدية .

وكذلك في توضيح ملامح هذا المنهج النقدي الحديث ، وتطبيقه على الأعمال الشعرية ، وبيان أثر ذلك على الشاعر ، والعمل الأدبي ذاته .

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الفني والذي يجمع بين الأدب والنقد؛ ليساعد في الكشف عن مكنونات النص الشعري، ويبرز أوجه الترابط بين الشعر والبيئة، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى عند الحاجة، مثل المنهج النفسي والمنهج التاريخي وغيرها .

الهدف من البحث:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على المفاهيم المعاصرة لدراسة النص؛ من خلال مصطلح « النقد الأدبي البيئي أو الإيكولوجي » وتطبيق هذا المنهج على نموذج من الأدب المعاصر لتكمل الفائدة من هذا البحث .

حدود البحث:

هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تُقسم إلى :

مقدمة : تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع و أهميته ، والهدف منها، والدراسات السابقة ، والمنهج ، وهيكل البحث .

التمهيد : (النقد الإيكولوجي والشاعر) ويشتمل على محورين :

المحور الأول : النقد الإيكولوجي (مصطلح ونشأة)

المحور الثاني : الشاعر (إطلالة موجزة)

المبحث الأول : **الرؤية الإيكولوجية عند الرصافي ـ وفيه** :

١. الفرار إلى الطبيعة والألفة معها
٢. أنسنة الطبيعة
٣. تطبيع الإنسان
٤. تدمير الطبيعة

المبحث الثاني : **التشكيل الفني عند الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي ـ وفيه**:

١. المعجم اللغوي والإيكولوجيا
٢. الصورة الشعرية والإيكولوجيا
٣. الموسيقى والإيكولوجيا

الخاتمة :

فهرس المصادر والمراجع :

التمهيد

النقد الإيكولوجي والشاعر

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة ثقافية جديدة لم يسبق إليها أحد من الباحثين بشقيها (التأصيل والتطبيق) ، كما يرمى البحث ــ أيضاً ــ إلي تقديم قراءة أدبية معاصرة ، بكونه وثيقة جمالية ، فالشعر كان ولا يزال ديوان العرب وسجل لتاريخهم ، يتخذه الشعراء وسيلة للتعبير عن مكنون مشاعرهم ، فإذا أمعنّا النظر في تاريخ الأدب عامة والشعر خاصة، نجد أن هناك أهميّة كبيرة للشعر باختلاف الوقت والمكان .

وتستند المقاربة الإيكولوجية على الفكر الإيكولوجي عامة، النابع من علم الإيكولوجيا والذي يهتم بدراسة الروابط، والعلاقات القائمة بين الكائنات، وليس الفروق بينها، ضمن منظومتها البيئية الخاصة، ومن بين تلك الكائنات الإنسان ، والذي تتم دراسة وضعه في محيطه، من أجل اكتشاف أسباب الأزمات الحاصلة على مستوى البيئة البشرية، والبيئة الطبيعية خاصة، ذلك أن الإيكولوجيا في اهتمامها بدراسة العلاقات، تتناولها ضمن مستويات ثلاثة وهي: المستوى المادي (العناصر المادية في الطبيعة، والمستوى الحي (الكائنات الحية)، ومستوى الإنسان ؛ لأن مهمتها النظر في نوع العلاقات القائمة بين مكونات كل مستوى، ثم بين مستوى وآخر؛ لأن علاقة كل كائن بكائن، أو بمظهر، يكون لها تأثيرها الخاص على بقية الكائنات والمستويات، كما تسعى الإيكولوجيا من الناحية المعرفية إلى دراسة جملة من المسائل المتعلقة بالأوساط، والبيئات التي تعيش فيها الكائنات

وتتكاثر، وبالعلاقات والصلات التفاعلية الناشئة ما بين تلك الكائنات ومحيطها[١] .

كما عدت الدراسة البيئية (الإيكولوجية) حديثًا فرعًا من فروع الدراسات الثقافية التي تداخلت في جميع المجالات الإنسانية ، ولم يقتصر دورها على الدراسة العلمية للأرض وما عليها ، بل امتد إلي دراسات عديدة في اللغة ، والأدب والنقد ، وقد برزت هذه الدراسات في سبعينيات القرن الماضي ، ولكنها لم تظهر في صورة نظرية متكاملة إلا في نهاية القرن العشرين ، وذلك بعد أن توسعت التيارات المعرفية والثقافية ، وظهرت الفلسفات الكونية المتكاملة .

وليس كل عمل أدبي يمكن أن يوصف بأنه أدبًا إيكولوجيًا ، لأن الأدب الإيكولوجي أدب خاص لابد أن تتوافر فيه بعض الخصائص والسمات التي لا توجد في غيره من النصوص ، منها أن يحاور الأديب هذه الطبيعة داخل النص ، فيتفاعل معها ويشعر بها ، وأن يحمل في نفسه همًا إيكولوجيًا يجعله يشارك في نشر الوعي البيئي ، والدعوة للمحافظة عليها وعدم الإضرار بها ، وأن يعتنق فكرة الاندماج مع الطبيعة داخل النص ، ثم يجيد التعبير عن هذه الأفكار بأدوات فنية متقنة ، وهو ما نراه قد تحقق في النتاج الشعري عند معروف الرصافي.

وفي السطور القادمة من هذا التمهيد سوف نتناول بالشرح والتحليل مفهوم مصطلح النقد الإيكولوجي ، ونشأته ، ثم ننتقل إلى إطلالة موجزة عن الشاعر ــ محل الدراسة ــ وبيئته في ضوء نظرية النقد الإيكولوجي .

---

(١) ينظر : رشيد دحدوح: مفهوم الطبيعة في الفكر الإيكولوجي المعاصر، مجلة فكر ونقد، العدد ٩٤ ،المغرب، يناير ٢٠٠٨ ، ص ١٥.

المحور الأول : النقد الإيكولوجي (مصطلح ونشأة)

النقد الأدبي البيئي (الإيكولوجي AL ecology)

ظهر مصطلح « النقد البيئي ــ الإيكولوجي » حديثًــا في الأدبيــات الأوربية والأمريكية في الآونة الأخيرة ، لذا ســألقي الضــوء علــى هــذا المصطلح كاتجاه نقدي من تبعات ما بعد الحداثة ، وقد وجدت شذرات لهــذا المفهوم في تراثنا النقدي الأدبي ، ولكن لم يجد من ينظــر لهــذا المفهــوم ويلقي الضوء عليه في مناهجنا النقدية ، ولذا فإننا لم نجد مصــطلح النقــد الأدبي البيئي في تراثنا النقدي صراحة ؛ فهو جديد من حيث الاصــطلاح ، لكنه مطبق لدى عدد من نقادنا تطبيقا تشوبه عموميــة الــرؤى أحيانــاً ، ويختلط مع مناهج نقدية أخرى في أحايين كثيرة [١] .

وتعد الدراسة البيئية (الإيكولوجية) فرعــاً مــن فــروع الدراســات الثقافية ، بل وامتدت إلى الدراسات الأدبية والنقدية ؛ للكشف عــن موقــف الإنسان تجاه ظواهر البيئة وأثر هذه البيئة في نتاجه ، وبعد اتساع التيارات المعرفية ظهرت هذه الدراسة كنظرية متكاملة .

وقد استقر التعريف الأكاديمي للإيكولوجيا باعتبارها العلم الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين الكائن الحي وبيئته ، فإن مصــطلح إيكولــوجي لــه اشتقاق لغوي يعود إلى الأصل اليوناني وهو (Oikos)، الذي يعنــي منــزلاً أو مكاناً نعيش فيــه ، فــي حــين يتضــمن مصــطلح (Logic) العلــم ،

---

(١) ينظر : مقال بعنوان : " أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراســات النقديــة المعاصــرة " ، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران ، ص ١٩٣، منشور في مجلة المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، تاريخ النشر ٢٠١٥م ، دبي .

وبذلك يكون مصطلح إيكولوجي هو علم يدرس البيئة بكل تأثيراتها في الكائن الحي .

فالبيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويستمد منه مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر ، ومن خلال هذا التعريف الشامل للبيئة يتبين لنا أن البيئة ليست مجرد موارد يستخدمها الإنسان كمقومات للحياة ، وإنما تشمل أيضاً علاقة الإنسان بالإنسان ، وعلاقة الإنسان بالبيئة نفسها [١].

ولعل الكثيرين منّا يقفون مواقف مترددة ، وأحياناً محرجة أمام استفسارات أبنائهم الصغار عن معاني الكثير من الألفاظ التي نستعملها ببساطة وبداهة ولا نجد ضرورة لإجهاد أنفسنا في وضع تعريف لها . وإذا دققنا النظر في أي مصطلح سنجد له تعريفات متعددة ومتباينة وفي الغالب كلها صحيحة ، ومرجع ذلك اختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها كل شخص إلى هذا المصطلح ؛ لذا وجب علينا التوفيق بين التعريفات المتباينة والوصول إلى تعريف شامل لهذا المصطلح ، وهو ما تسعى إليه هذا الدراسة من خلال الجانب النظري والتطبيقي معاً .

وفي الأعوام الأخيرة بدأ الاهتمام النقدي بالمقاربات الإيكولوجية للأدب والانتظام تحت راية النقد الإيكولوجي الذي يأخذ موضوعات لها ترابطات بين الثقافة الإنسانية والعالم المادي ، والنقد الأدبي الإيكولوجي هو ذلك الفرع من النقد الإيكولوجي الذي يركز على نحو خاص على العناصر

---

(١) ينظر : البيئة ومشكلاتها ، رشيد الحمد ، و محمد سعيد صباريني ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، عالم المعرفة ، أكتوبر ١٩٧٩ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .

الثقافية ، اللغة والأدب وعلاقتهما بالبيئة ، فهو موقف نقدي يضع إحدى قدميه في الأدب والأخرى على الأرض [١].

ولقد رحب كثير من الباحثين والنقاد بإدخال الإيكولوجيا إلى الدراسات الأدبية ؛ حيث أولى النقد الإيكولوجي انتباهاً متزايداً للتمثيلات الأدبية للطبيعة .

كما أن النقد الأدبي البيئي يمتد ليحلل الجوانب الثقافية والأدبية المؤثرة في رؤية الكاتب ، ويهتم بالكشف عن الوظيفة البيئية المتوارية خلف الصفة الجمالية ، و يُعنى بالتفتيش عن سبب حضور البيئة في النص الأدبي ، ومكونات الطبيعة المُعَبر بها في الصور البلاغية ، وما ينطوي عليه العمل من قيم إيكولوجية ، بالإضافة إلى الكشف عن وجهات النظر الخاصة بالبيئة داخل النص ، وتعالق النص تناصيًا [٢].

مما سبق يتضح لنا أن النقد الأدبي البيئي (الإيكولوجي) يُعنى بدراسة العلاقة بين الأدب والبيئة المادية ، وعلى الرغم من أن ظهور الدراسات النقدية الإيكولوجية جاءت متأخرة مقارنة بالدراسات اللغوية أو الأدبية البيئية لكنه استطاع أن يشكل حركة تنوير عالمية أثرت المكتبة الأدبية والنقدية .

والذي يسعى إلى توظيف مصطلحات ذات علاقة بالبيئة والطبيعة ، وبيان أثر هذه المصطلحات على الأديب ، وعمله الأدبي .

---

(١) ينظر : النقد الإيكولوجي ، الدكتور / مايكل برانش ، ترجمة : معين رومية ، ص ٤٤ ، عدد ٣٦ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة .

(٢) ينظر : النقد الأدبي البيئي : النظرية والتطبيق ، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص ٦٦ .

المحور الثاني : الشاعر والبيئة (إطلالة موجزة)

اسمه ونسبه [١] :

الشاعر (مَعْرُوف الرُّصَافي) :هو معروف بن عبدالغني البغدادي الرصافيّ شاعر العراق في عصره ، وهو من أعضاء المجمع العلمي العربيّ (بدمشق) أصله من عشيرة الجبارة في كركوك، ويقال إنها علوية النسب . ولد ببغداد، عام١٢٩٤هـ الموافق ١٣٦٤م ، ونشأ بها في (الرصافة) وتلقّى دروسه الإبتدائية في المدرسة الرشيدية العسكرية، ولم يحرز شهادتها.

حياته ونشأته :

تتلمذ لمحمود شكري الآلوسي في علوم العربية وغيرها، زهاء عشر سنوات . واشتغل بالتعليم . ونظم أروع قصائده ، في الاجتماع والثورة على الظلم، قبل الدستور العثماني . ورحل بعد الدستور إلى الآستانة ، فعين معلمًا للعربية في المدرسة الملكية . وانتخب نائبًا عن (المنتفق) في مجلس (المبعوثان) العثماني. وهجا دعاة (الإصلاح) و(اللامركزية) من العرب. وانتقل بعد الحرب العالمية الأولى (سنة١٩١٨م) إلى دمشق ، ثم عين أستاذًا للأدب العربيّ في دار المعلمين بالقدس، فأقام مدة . وعاد إلى بغداد فعين نائبًا لرئيس لجنة (الترجمة والتعريب) ثم أصدر جريدة (الأمل) يومية (سنة ١٩٢٣م) فعاشت أقل من ثلاثة أشهر.

وعين مفتشًا في المعارف، فمدرسًا للعربية وآدابها في دار المعلمين، فرئيسًا للجنة الاصطلاحات العلمية واستقال من الأعمال الحكومية عام ١٩٢٨م فانتخب (عضوًا) في مجلس النواب، خمس مرات، مدة ثمانية

---

(١) ينظر : أعلام الأدب في العراق الحديث ، مير بصري ، تقديم : دكتور / جليل العطية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م ، ص ١٠٤ .

أعوام. وزار مصر سنة ١٩٣٦ وقامت ثورة رشيد عالي الكيلاني ببغداد، في أوائل الحرب العالمية الثانية، فنظم (أناشيدها) وكان من خطبائها. وفشلت، فعاش بعدها في شبه انزواء عن الناس إلى أن توفي .

منزلته الشعرية :

كان للشاعر معروف الرصافي منزلة علمية وأدبية متميزة فقد كان جزل الألفاظ في أكثر شعره، عالي الأسلوب، حتى في مجونه، هجاء مرًا، وصافًا مجيدًا، ملأ الأسماع دويًا في بدء شهرته . وتبارى والزهاوي زمنًا، وتهاجيا، ثم كان لكل منهما ميدانه : الرصافيّ بوصفه، والزهاوي بفلسفته . نشأ وعاش ومات فقيرًا .

مؤلفاته :

منها (ديوان الرصافي – ط) جزآن اشتملت الطبعة الثانية منه على أكثر شعره، إلا أهاجي ومجونيات ما زالت مخطوطة متفرقة فيما أحسب، و(دفع الهجنة – ط) رسالة في الألفاظ العربية المستعملة في اللغة التركية وبالعكس، و (دفع المراق في لغة العامة من أهل العراق) نشر متسلسلا في مجلة لغة العرب، و (رسائل التعليقات – ط) في نقد كتاب النثر الفني وكتاب التصوف الإسلامي، كلاهما للدكتور زكي مبارك، و (نفح الطيب في الخطابة والخطيب – ط) و(محاضرات الأدب العربيّ – ط) جزآن، و (ديوان الأناشيد المدرسية – ط) و(تمائم التربية والتعليم– ط) شعر، و(آراء أبي العلاء– خ) و(على باب سجن أبي العلاء – ط) نشر بعد وفاته، و (الآلة والأداة – خ) في أسماء الأدوات والآلات التي يحتاج إلى استعمالها. ومما كتب عنه: (الرصافيّ في أعوامه الأخيرة – ط) لنعمان ماهر الكنعاني وسعيد البدري، و(ذكرى الرصافيّ – ط) لعبد الحميد الرشودي، و(أدب الرصافيّ – ط)

لمصطفى علي، و(محاضرات عن معروف الرصافيّ – ط) ألقاها مصطفى علي في معهد الدراسات العربية بالقاهرة، و (الرصافيّ – ط) الجزء الأول منه، لمصطفى علي أيضا .

عوامل شاعريته :

لا يولد الشاعر أو المبدع عموماً مبدعاً ، ولكن يولد بداخله ملكة واستعداد فطرى يساعده على تصوير ما يريده ، وهذه الملكة هي المكون الرئيس لشخصية المبدع، وتمثل العنصر الذاتي أو الذوقي للمبدع، وتشكل مع العنصر الموضوعي الشخصية المبدعة في عمومها ، والعنصر الأخير ــ "الموضوعي"ــ يتكون من مجموع الصفات والخصائص الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية التي يحيا في ظلالها الشاعر أو المبدع ، ومعروف الرصافي كغيره من الأدباء و الشعراء الذين عاشوا حياتهم في ظلال بيئية وثقافية معينة خضعت لمؤثرات عديدة من أهمها :

<u>المؤثرات البيئية :</u>

فلا شك أن في مجموع العوامل المكانية، والاجتماعية المحيطة بالأديب تأثيراً كبيراً في حياته، وفكره، وعاطفته، وبالتالي فيما يصدر عنه من أدب، لا سيما الشعر على وجه الخصوص فهو من أشد الأجناس الأدبية تأثراً بالبيئة ، ولأن البيئة الأدبية لأى شاعر ليست هي المكان المحيط الذى يوجد به فقط ، أي أنها لا تقتصر على بيئته الجغرافية ؛ إنما تتعدى حدود الزمان والمكان فتتصل بالوطن العربي كله فضلاً عن أدب التراث، لذلك تأثر الرصافي بالبيئة البغدادية والعربية على السواء ؛ حيث إن التيارات الأدبية في أي بيئة متداخلة وليست محدودة بحدود مكانية أو زمانية .

ولأن الشاعر ابن البيئة التي يعيش فيها ، ومن شأن هذه البيئة أن تؤثر فيه ، وتطبعه بطابعها ، وتوجه جهوده ومذاهبه ، وتصقل موهبته ؛ فالموهبة وحدها لا يمكن أن تبدع أدباً له قيمة ، فإن الإبداع لا يكون إلا نتاج تفاعل بين الفرد والبيئة ، ولا شك أن للبيئة الدور الأكبر في تشكيل شخصية الإنسان وسلوكه وتعامله مع باقي المخلوقات المحيطة به ، فكل إنسان يؤثر ويتأثر في بيئته على حسب ما تحتويه هذه البيئة من عناصر ، وأدوات ، وكل بيئة تحتوي على أدوات وألفاظ تختلف عن البيئة الأخرى ، ولعلنا نلمس ذلك في أن الشاعر البدوي يحاكى بقصائده ما يتأثر به في بيئته ويتفاعل معه من صحراء، وسماء ، وتلال ، وجبال ، وأغنام ، وخيام، وغيرها من الأدوات ، كذلك نجد الشاعر الساحلي يتطرق لما يتفاعل معه من بحر ، وأسماك ، ولؤلؤ ، وشطآن .... إلخ ، وأيضاً الشاعر البدوي ، والمدني ، فكل بيئة لها أثرها الواضح على الشاعر الذى يعيش فيها .

لذلك لا يعد من الغريب أن تؤثر البيئة المكانية والاجتماعية ، والعصر في الشاعر / معروف الرصافي ، فالبيئة وطن المرء الذى يولد فيه وينتسب إليه ويتدرج في ربوعه ، وللبيئة عناصر كثيرة تؤثر في الشاعر ، منها عناصر مرتبطة بالمظاهر الحضارية ، والسياسية ، وأخرى مرتبطة بالمظاهر الطبيعية ، وحب الشاعر للطبيعة وتفاعله معها .

وفاته :

توفي ببيته، في الأعظمية ، ببغداد عام ١٨٧٧هـ الموافق ١٩٤٥م [(١)].

(١) ينظر : الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ، ٧/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

المبحث الأول

الرؤية الإيكولوجية عند الرصافي

توطئة :

يأتي هذا البحث محاولة نحو تأصيل النقد الأدبي البيئي (الإيكولـــوجي AL ecology) من خلال سبر أغواره في الأدب المعاصر؛ ليتيح هذا البحث للقارئ رؤى نقدية جديدة ينهل منها فتساعده في كشف العديد من بـــواطن المعاني التي تكمن في ثنايا الأعمال الأدبية .

وفي الصفحات القادمة ــ بمشيئة الله تعالى ــ سوف نلقي الضوء على العلاقة بين البيئة والنص الشعري ، وحضورها بصورة كبيرة ومتنوعة داخل أعمال الشاعر الكبير معروف الرصافي ، فمنها ما جاء في صورة فرار إلى الطبيعة والألفة معها ، ومنها ما جاء فى صورة أنسنة للطبيعة وتصويرها في صورة إنسان ، أو تطبيع ذلك الإنسان واندماجه مع الطبيعة ، ومنها ما جاء مصورًا لما لحق الطبيعة من دمار وخراب إثر ويلات الحرب أو الحرائق أو غيرها من الكوارث التي أدت إلى دمار الطبيعة ، في محاولة لتأصيل النقد الأدبي الإيكولوجي وتطبيقه على شعره .

أولاً : الفرار إلى الطبيعة والألفة معها :

إن الفرار إلى الطبيعة والألفة معها هو ديدن الشعراء منذ القدم فقد نشأت بين الطبيعة والشعراء والمبدعين والفلاسفة ألفة ظلوا يلجأون إليها ؛ لتغذية وجدانهم وقرائحهم ، وتعميق أفكاهم ، وتوسيع رؤاهم ، وعلى الرغم من قسوتها ووحشتها في كثير من الأماكن ، إلا أن الشعراء فرّوا إليها ، وخير مثال على العلاقة بين الشعراء والطبيعة هي العلاقة التي نشأت بين الشعراء الصعاليك والصحراء ، فقد أصبحت بالنسبة لهم الأم والأخت والحبيبة ، والموحية لهم بأعذب الأفكار ، والملجأ والملاذ عند الخوف والفزع ، فلم يكن هذا الفرار إلى الطبيعة والألفة معها بمستغرب في قصائدهم الشعرية .

و النسق البيئي يبدأ سيرورته عند معروف الرصافي منذ العتبة الأولى وهي عنوان القصيدة ، ففي واحدة من روائعه البيئية والتي تحمل عنوانًا إيكولوجيًا من نسقين (محاسن الطبيعة) ، يدل النسق الأول منهما على الصفات الجميلة والميزات ، ثم الكلمة الثانية والتي تمثل النسق الإيكولوجي في العنوان وهي كلمة الطبيعة، فالطبيعة هي بطل القصيدة ، والألفة معها هي المضمون الفعلي للفكرة التي أراد معروف الرصافي أن يطرب بها آذان مستمعيه ، فمفردات القصيدة منذ عنوانها مفردات إيكولوجية ذات دلالة بيئية ، تظهر من خلالها العلاقة القوية بين الإنسان والبيئة، حيث يقول [1] :

ثم رمى نظرة مُسترحمٍ ∴ في الكون عن طرفٍ له حائرِ

(١) ديوان الرصافي ، الشاعر معروف الرصافي ، شرحه وصححه : مصطفى السقا ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٣م ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

وقـــال قـــولَ الكلـــف المغـــرمِ ∴ في حـــب ذات النظـــر الســـاحرِ
أيتهـــا الأرض قفـــي واســـلمي ∴ مـــن أجـــل هـــذا المشـــهد الزاهـــرِ
حتـــى أرى ليلتنـــا باقيـــه ∴ محفوفـــةً مـــن وصـــلنا بـــالنعيم
فـــإنَّ هـــذي ليلـــة حاليـــه ∴ تزهـــو ببـــدرين وطلـــق النســـيم

يتغنى الشاعر في الأبيات السابقة بالعلاقة التي تربطه مـع الطبيعـة الساحرة، فينظر إليها نظرة مسترحم ؛ ليستعطفها ، فهو العاشـق المغـرم بحبها، فإن ليلته تزهو ببدرين (محبوبته / بدر السماء) ثم يطلـب مـن الأرض التوقف عن الدوران ؛ لتشاركه تلك اللحظات الغرامية، والتي ستزول بزوال الليل المقمر إذا لم تتوقف الأرض عن الدوران ، إلا أن توقف الأرض عن الدوران سيؤدي إلى خرابها وبوارها ، وهنا تظهر الألفة بين الشـاعر وبين الطبيعة في أعمق صورها حيث يدعو للأرض بالسلامة ، بحيث يكون توقفها مقرونًا بالسـلامة لا الخـراب ، فقـال " **أيتها الأرض قفي واسلمي** " ، فالعلاقة القوية بينه وبين الأرض شكلت بناء هذه القصيدة ، وجعلته يـدعو لها بالسلامة، ثم يخاطب البدر ــ أيضًا ــ فيقول [١] :

وأنـــت يـــا بـــدرُ اللطيـــف الســـنا ∴ في الجـــوِ قِـــفْ وقفـــة غـــير الرقيـــبْ
مـــا أبهـــج النـــور ومـــا أحســـنا ∴ إذا دنـــا منـــك لوجـــه الحبيـــبْ!

فالشعراء يخاطبون الأشجار والأنهار والنجوم وأمواج البحر وغيرهـا من مظاهر الطبيعة، فهم يناظرون بين الطبيعة وحالاتهم النفسية ، ويـرون في الأشياء أشخاصًا تفكر وتآسى ، وتشاركهم عواطفهم ، وهو ما يجعلهـم يفرون إلى الطبيعة ؛ ليخلطوا مشاعرهم وأفكارهم مع صـورها ومناظرهـا

(١) الديوان ، ص ٢٦٣ .

الخلابة ، بحيث لا يقف هذه التشابه عند حدود المظهر الحسي فقط بل يتجاوزه إلى حد الألفة ، وهنا تصبح الفكرة الشعرية طبيعة ، والطبيعة مضمون شعري[١] .

فقد كانت نظرة النقد قديمًا قاصرة على دراسة البيئة فقط أو المجتمع فقط ، كل جزء منهما منفصل عن الآخر ، لذا فإن دراسة العلاقة بينهما تحتاج إلى إمعان وتدقيق ، فدراسة البيئة جزء لا يتجزأ ولا ينفصل عن دراسة الشعر ، وهنا تكمن أهمية دراسة البيئة في الشعر من حيث طبيعة العلاقة التكاملية الرابطة بينهما .

ورؤية الشاعر الإبداعية تعمد ــ دائمًا ــ إلى تجسيد العلاقة بين الإنسان والبيئة ، ومن تلك الشواهد التي تعزز ذلك وتشير إلى الألفة والفرار من الإنسان إلى الطبيعة ما جسده الشاعر معروف الرصافي في وصفه للطبيعة ، حيث يقول [٢] :

كأنّ التفاف الدوح بينها ∴ جيوب من الأنوار زرّت بأزرار
تميل إذا هبّ النسيم غصونها ∴ فتأتي بظلّ في الجوانب موّار
ترانا إذا ما الطير في الودح غرّدت ∴ نميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسّمنا بها الريح ضحوةً ∴ فنمّت لنا من طيبهنّ بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسماً ∴ فيفترّ منها عن منابت أزهار
مشاهد في تلك الربا ومناظر ∴ تجلت على أطرافها قدرة البارى

(١) ينظر : النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٥م، ص ٣٩٢ .
(٢) الديوان ، ص ٢٦٥ .

فقد استعار معروف الرصافي من الطبيعة صـورًا جماليـة مركبـة ؛ ليفصح من خلال هذا النسق الإيكولوجي عما يحمله من مشاعر حب نحـو البيئة وإعجاب بمناظرها الفاتنة ، وعالمها الفسيح الـذي لا تقيـده قيـود ولا تحده حدود .

وقد تعمق الشاعر في رصد المظاهر الإيكولوجية منذ مطلع القصـيدة في إشارة منه للعلاقة القوية بينه وبين الطبيعة ، وما تحمله هذه العلاقة من ألفة وحميمية انعكست على نتاجه الشعري من حيث اختيار الألفاظ والصور، حيث يقول [١] :

البحـر رهـوٌ والسمـا صاحيـه ∴ والفخـت في الليـل شـبيه السـديم
والبـدر فـي طلعتـه الزاهيـة ∴ قـد ضاحـك البحـر بثغـرٍ بسـيم
والصمـت فـي الأنـحاء قـد خيّمـا ∴ فالليـل لم يسمـع ولم ينطِـق
والبـدر فـي مفـرق هـام السـما ∴ تحسبـه التـاج عـلى المَفـرق
أغـرق فـي أنـواره الأنجمـا ∴ وبعضهـا عـام فـلم يغـرق
والبحـر فـي جبهتـه الصـافيه ∴ قـام طريـقٌ للسنـا مستقيـم

فها هو ذا يترنم بأجمل الألحان فيصف الطبيعة المحببة إلى قلبه بأروع الأوصاف التي تحيى النفوس بمرآها ، وتعبق الأنفاس بشـذاها ، فـالبحر ساكن والسماء تكشفت سحبها ، والقمر المنير يعكس ضوءه اللامـع علـى سطح البحر الساكن ، والصمت مخيم على المشهد بأكمله في إشـارة مـن الشاعر إلى حالة السكون الداخلي التي سيطرت على مشاعره ، وقد صـور

(١) الديوان ، ص ٢٦١ .

البدر المنير في السماء وكأنه تاج فوق الـــرؤوس ، مازجًـــا بـــين صـــفات الطبيعة وصفات الإنسان مما يعكس العلاقة التكاملية بين البيئة والإنسان .

وللطبيعة سحر وجاذبية أخذت مدى الدهور تعطي لأهل الموهبة ينبوعاً لينهلوا منه ، وكذلك جمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال ، فقد استحوذت الطبيعة في شعر الرصافي على اهتمام كبير ، فراح يصورها بصور زاهية جميلة، تعكس رهافة شعوره ورقة إحساسه وفرط إعجابه بالبيئة، واندماجه العميق مع مكوناتها .

ثانياً : أنسنة الطبيعة :

ظهر مفهوم " أنسة الطبيعة " كنتيجة طبيعية لعملية العودة إلى الأزمنة السحيقة ، وما وجد فيها من محنة لبني البشر في مواجهة جموح الطبيعة الهادر وظواهرها الغامضة التي تدمره تارة كالبراكين والأعاصير والفيضانات والزلازل وغيرها من الظواهر ، وتؤثر عليه سلباً تارة أخرى حين تدخل في صميم حاجاته الأساسية فتتوقف حياته عليها مثل الزراعة إذا حلّ القحط والصيد وإذا ما تغير المناخ والأمراض التي تفتك به ولا يعلم لماذا ؟ وغيرها الكثير .

وإنَّ أنسنة الطبيعة تعني تجريدها من الصفة المادية وإضفاء الصفات البشرية عليها ؛ ليسهل التعامل وتنظيم العلاقة معها ، وبالتالي خلق موائمة بينها وبين الإنسان تصب في مصلحته كحل طبعي لابد أن يفرزه الواقع المعاش للإنسان البدائي ، والأنسنة تعني إنزال غير العاقل من الحيوان أو النبات أو الجماد أو المعاني المجردة منزلة العاقل نطقاً وصورةً وحركةً، أي يغدو غير العاقل إنساناً أو على صورة إنسان ، لذلك جاء مصطلح أنسنة الطبيعية بمعنى تحويل الطبيعة إلى إنسان من خلال إسقاط هذه الصفات الإنسانية ، فيجعلها تتحرك ، وتحس ، وتُعبر وتتعاطف [١] .

ويطلق عليها ــ أيضًا ــ ظاهرة الإحيائية : وهي التي تعني أن الإنسان البدائي يؤنسن الطبيعة ، ويشخصها تشخيصًا حيًا ، فيجعلها تتحرك مثل الإنسان خيرًا وشرًا ، بمعنى أنه يسبغ عليها صفات الإنسان الحية ،

(١) ينظر : أنسنة المكان في رويات عبد الرحمن منيف ، للدكتور / مرشد أحمد ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م ، ص ٧ .

ويجعلها تتصرف مثل تصرفات الإنسان السلبية والإيجابية [١] ، فها هو ذا الشاعر معروف الرصافي يصور لنا في واحدة من روائعه الشمس وهي تجري نحو الغروب بلونها الأصفر تشبه عاشقاً ذهب تفكيره في الحب ــ حيث يقول [٢] :

نزلت تجرّ إلى الغروب ذيولا ∴ صفراءَ تشبه عاشقاً متبولا
تهتزّ بين يد المغيب كأنها ∴ صبّ تململ في الفراش عليلا
ضحكت مَشارقها بوجهك بكرةً ∴ وبكت مغاربها الدماء أصيلا
مذ حان في نصف النهار دلوكها ∴ هبطت تزيد على النزول نزولا
قد غادرت كبد السماء منيرة ∴ تدنو قليلا للأفول قليلا[٣]
حتى دنت نحو المغيب وجهها ∴ كالورس حال به الضياء حيولا[٤]

فالناقد البيئي يقرأ المقطع الشعري السابق قراءة كاشفة عن باطن النص بما يتيح للقارئ التعمق في أغوار النص وبواطنه ، وهذا يبدو من خلال أنسنة الشاعر للشمس ، وانزياحات الدلالات اللغوية لمفردات (نزلت ــ تجر ــ متبولاً ــ ذيولاً ــ صبّ ــ ضحكت ــ بكت) وغيرها من المفردات التي استخدمها الشاعر ، فجعلت من الشمس حسناء مترفة تجر ثوبها

---

(١) ينظر : النقد البيئي في الأدب والفن ، جميل حمداوي ، حسن أعرب ، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م ، دار الريف للطبع و النشر الإلكتروني ، المملكة المغربية ، ص ١٣ .

(٢) الديوان ، ص ٢٠٠ .

(٣) أفل: أَفَلَ أي غَابَ وأَفَلَت الشمسُ تَأْفِل وتَأْفُلُ أَفْلًا وأُفولًا: غَرَبت، لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، ١٨/١١، مادة (أ ف ل) .

(٤) الوَرْس: شَيْءٌ أَصفر ، والوَرْس صِبْغ ، وهو نَبْتٌ أَصفر يَكُونُ بِالْيَمَنِ تُتَّخَذُ مِنْهُ الغُمْرة لِلْوَجْهِ ــ أيضًا ــ ، ينظر : لسان العرب، ابن منظور، ٢٥٤/٦، مادة (و ر س) .

الفضفاض ، تفرح وتحزن وتحب وتكره ، فالشمس نزلت تجري نحو الغروب ، وهي تشبه العاشق الذي ذهب تفكيره من شدة الحب ، وأما عن المغيب فقد تحول إلى إنسان تهتز الشمس بين يديه مثل العاشق العليل المتململ على فراشه ، ثم يقابل الشاعر بين معنين في إشارة منه إلى فرح الشمس وقت الشروق ، وحزنها وبكاءها وقت الغروب ، وكأنها إنسان يفرح ويحزن ويبكي ، فقد تجلت في الأبيات السابقة صورة من صور أنسنة الطبيعة بإسقاط الصفات الإنسانية على غير العاقل .

ثم يتحرك الشاعر بنصه الشعري ، وتتحرك معه الصورة الحسية للشمس والتي تحولت من الشروق إلى الغروب ومن الفرح إلى الحزن ، حيث يقول(١) :

غربت فأبقت كالشواظ عقبها ∴ شفقاً بحاشية السماء طويلا
شفق يروع القلب شاحب لونه ∴ كالسيف ضمّخ بالدما مسلولا
حتى توارت بالحجاب وغادرت ∴ وجه البسيطة كاسفاً مخذولا

فقد غابت الشمس وتركت خلفها شفقًا يغطي السماء بلونه الأحمر ، ذلكم اللون الذي يظهر في السماء عقب غروب الشمس، وكأنه سيف ملطخ بالدماء، يتساقط هذا الدم منه بعد نزعه من الجسد، ثم توارت هذه الشمس وراء الحجب؛ لتستتر عن العيون مغادرة للأرض في انكسار وكسوف ، وبهذه الصورة التي رسمها الشاعر للشمس وكأنها فتاة تنزل من كبد السماء متجهة نحو الغروب، وكذلك التستر خلف الحُجب حتى لا يراها الناس، تتجلى نظرة الشاعر البيئية في تجسيده للطبيعة بصورة حسية، فقد

(١) الديوان ، ص ٢٠١ .

منح الشاعر الشمس صفات إنسانية ؛ لتتجلى البيئة على مستوى الرؤية ، فتمنح القارئ أفقاً واسعاً ، ضمن منظور نقدي إيكولوجي معاصر عن مدى التحول في الرؤية الإبداعية من حالة الجمود إلى حالة الحركة . وقد استعان الشاعر في تصويره البيئي بألفاظ قرآنية على سبيل الاقتباس من الكتاب المعظم ، منها : (شواظ ، دلوك ، الأفول ، شفق ، توارت بالحجاب) .

ثم انصرف الرصافي إلى تصوير مشهد آخر في حديقة غنّاء ، صور فيه طائر البلبل وهو يصدح بالغناء ، لوردة زاهرة ، فها هو ذا يرسم لنا لوحة فنية بيئية تجلت فيها أنسنة الطبيعة ، حيث يقول[1] :

إن بليلاً من نسيم السحر ∴ لمّا جرى في المربع المخمل
أخبر ريّاه أصحّ الخبر ∴ عمّا جرى في الروض للبلبل
إذ هو مذ ألقى به ناظره ∴ من بعد ما ثغر الصباح ابتسم
صادف فيه وردة زاهرة ∴ والطلّ كاللؤلؤ فيها انتظم
مضمومة أوراقها الناضرة ∴ مثل فم يطلب تقبيل فم
فظلّ يرنو مستديم النظر ∴ رنوّ ظمآنٍ إلى منهل
وهي غدت ممّا بها من خفر ∴ محمرّةً من نظر مخجل

فقد بدأ الشاعر قصيدته بمطلع يتميز بالتشويق للمتلقي حيث أشار إلى قصة البلبل في قوله (عمّا جرى في الروض للبلبل) ؛ وهنا تزداد حدة التشويق لدى المتلقي ، ويتسع أفق توقعه ، ثم ينطلق الشاعر لوصف حالة هذا البلبل العاشق المعروف بشدة عشقه للورود والأزهار ، ويُضرب به المثل في انطلاقة اللسان وعذوبته ، وهنا يتآلف الشاعر مع البلبل والوردة ،

(١) الديوان ، ص ٢٤٧ .

حتى منحهما صفة الحياة وأخذ يسقط عليهما بعض الصفات الإنسانية في حوارٍ راقٍ تجلى فيه الوعي البيئي بالطبيعة ، فالبلبل حين قابل الوردة نظر إليها نظرة عشق وهيام وهو معجب بجمالها فهي زاهرة متلالئة مشرقة تعلوها قطرات الندى ، أوراقها مضمومة تشبه الشفاه ، والبلبل يطيل النظر إليها وكأنه ظمآن ، ومع إطالة النظر إليها اضطربت الوردة من الحياء والخجل ، إلا أن هذا البلبل استمر في النظر إليها ، معلنًا أشواقه وحبه لهذه الوردة ، حيث يقول[١] :

ثم تمادى غرداً صادحا ∴ يعلن للوردة أشواقه
ينطق بالحب لها بائحا ∴ وهي التي تفعل أنطاقه
وتنشر الطيب له نافحا ∴ كأنها تقصد انشاقه
حتى غدا البلبل منذ الصغر ∴ في حبّها منطلق المقول
ينشد فيها شعره المبتكر ∴ ولا يني فيه ولا يأتلي

فقد منح الشاعر للبلبل والوردة صفات إنسانية كثيرة منها : الإحساس والكلام ، والحب ، وجعلهما يشعران بما يشعر به الإنسان ، وتفاعل معهما ــ أيضًا ــ حين أجرى على لسانهما ذلك الحوار الذي وضح فيه للمتلقي ما آلت إليه الأمور بينهما ، وهنا يشير الشاعر إلى أنسنة الطير والنبات وتحولهما إلى كائن حيّ يعشق فيبوح بحبه لمحبوبته ، وينظم الشعر دون كلل أو فتور .

وهكذا تتجلى الإيكولوجية على مستوى الرؤية ، لتمنح القارئ أفقاً واسعاً يظهر التحول في الرؤية الإبداعية من حالة غير العاقل إلى حالة

(١) الديوان ، ص ٢٤٧ .

العاقل ، ثم يختتم قصيدته بختام حزين تتجلى فيه الأنسنة الإيكولوجية بصورة كبيرة ، حيث يقول[١] :

حتى إذا الورد مضى وانقضى ∴ وعادت الروضة كالبلقعه[٢]
مسّت حشا البلبل نار الغضا ∴ من حرقة البين الذي أوجعه
لا تسأل البلبل عمّا مضى ∴ في زمن الورد له من دعه
ولكن اسأل في السماء القمر ∴ عن خبر الورد مع البلبل
إذ كان يصغي منهما للسمر ∴ وهو مطلٌّ ناظر من عل

فبعد أن فقد البلبل محبوبته ، ونظر إلى الروضة التي كانت مخضرة فرآها بلقعة مقفرة لا شيء فيها ، وقد أسند الشاعر له صفات إنسانية واضحة ، فنراه يوجعه الفراق، ويؤلمه الهجر ، وتؤرقه الذكرى ، فيشعر بالألم ، ولاكتمال المشهد الإيكولوجي أشار الشاعر إلى جمهور هذه القصة الرومانسية حين أخبرنا أن القمر كان يُصغي سمعه ويحدق بصره إلى هذه المشاهد الرومانسية فهو على دراية كاملة بالقصة من خلال رؤية الشاعر البيئية ، حيث تجلت مظاهر الأنسة في أدق صورها .

ثم يتحدث الشاعر في موضع آخر تجلت فيه أنسة البدر والليل والنسيم والنهر ، مع بيئة الشاعر وتحليقه في الفضاء ؛ لتتناغم اللوحة الفنية وتكتمل ، حيث يقول [٣] :

ولقد وقفت بجسر مود عشيّةً ∴ والبدر في أفق العلا يتلالا

---

(١) الديوان ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
(٢) البلعقة : الأرض القفرالتي لا شيء فيها ، لسان العرب، ابن منظور ، ٢٦/١٠، مادة (ب ل ع ق) .
(٣) الديوان ، ص ٢١٨ .

والليل يلبس من سناه مطارفاً ∴ منها يجرّ بدجلة أذيالا
أما النسيم فقد جرى متعطّراً ∴ وحكى بطيب هبوبه الآمالا
وجبين دجلة قد صفا متألّقاً ف ∴ حكى السماء محاسناً وجمالا
فحسبت نفسي في السماء مشاهداً ∴ تحتي بدجلة للسماء مثالا
ورأيت من فوقي السماء حقيقة ∴ ورأيت من تحتي السماء خيالا
حفّت جوانبه بكلّ بديعةٍ ∴ فزها جمالاً واستقلّ جلالا
حتى نخيل الجانَبين جمعها ∴ قامت له بحفاوة إجلالا

وهنا نلمح في الأبيات السابقة أنسنة بعض مكونات الطبيعة ، وبيئة الإنسان ، ففي اللوحة الفنية السابقة يصف الشاعر مشهد وقوفه على جسر فوق نهر دجلة ، يذكر فيه ما رآه من تناغم بين مكونات الطبيعة ، ثم يسقط بعض الصفات الإنسانية على الطبيعة والتي تجلت في وصف الليل بإنسان يرتدي ثوبًا طويلاً يجره على جبين نهر دجلة الذي عكس صورة السماء على صفحته الصافية ، فتخيل الشاعر أن السماء من تحته ومن فوقه في آن واحد وكأن الجسر الذي يقف عليه قد ارتفع إلى أعلى ، فأصبح الشاعر يحلق في الفضاء يرى السماء الحقيقية من فوقه والسماء الخيالية من تحته في مشهد بيئي مهيب ، ثم أشرك معه النخيل وكأنه على جانبي النهر إنسانًا يقف احترامًا واجلالا ، وحفاوة بالشاعر .

فقد استطاع الشاعر في هذا المشهد أن يؤنسن الطبيعة بصورة جميلة من خلال تداخل مكوناتها الممثلة في الليل ، والنهر ، والسماء ، والبدر ، مع الصفات الإنسانية من ارتداء الثياب ، والتطيب ، وذكر الجبين ، وبالعكس حين وصف نفسه بالتحليق في السماء وهي صفة من صفات

الطير ؛ لينتج مشهداً أثيراً محبباً إلى النفس ، تناغمت فيه الطبيعة مع الشاعر .

فإن هذه الأنسنة البارعة للطير والنبات والجماد والماء توحي بوعي الشاعر الإيكولوجي، وتبرز مكانة البيئة وأهميتها داخل العمل الإبداعي الفني، فالنقد الأدبي الإيكولوجي في حاجة إلى منهجية قابلة للتطبيق في تراث الإنسانية، ولا أغالي إذا قلت إن النقد الأدبي البيئي ربما يكشف مخبوء النص الأدبي بما يعين المتلقي على فهمه وبما يسهم في انتشار وعي بيئي يرى البيئة مشكلة تيارات الإبداع والتلقي ، فالطبيعة ليست شيئاً يكتشفه العقل بل ما يعمله العقل (١) .

وإن عملية الأنسنة التي تتم داخل العمل الأدبي تهدف إلى بيان منزلة الطبيعة عند الشاعر من خلال رؤيته الإيكولوجية ، فإن الإيكولوجيا العميقة هي التي تقدم أخلاقًا توضح قيمة البيئة وأهميتها ، وتعمل على جذب انتباه المتلقي وتشويقه ، فقد أصبح النص الشعري الإيكولوجي نصًا أدبيًا جماليًا بامتياز ، لابد من التوقف أمام أدبيته وشعريته البيئية بمختلف أنواع الدراسة والتحليل ، للكشف عن التمثيل الطبيعي داخل الأعمال الأدبية .

---

(١) ينظر : أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية ، للدكتور / محمد أبو الفضل بدران، مقال منشور في المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، عن المجلس الدولي للغة العربية ، ص ٢٠٢ .

ثالثاً : تطبيع الإنسان :

العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة قديمة منذ الأزل ، فهي علاقة احتواء وانصهار ، فيها من التأثير والتأثر ما فيها ، فليست علاقة جديدة ، حيث إن البيئة في أبسط تعريف لها هي كل ما يحيط بالإنسان ، فهي الإطار العام المحيط به والذي يمارس فيه جميع أنشطته الحياتية ، ولذا فقد تنبه الكتَّاب والمبدعون إلى ما يحيط بهم من مكونات الطبيعة ، فعمدوا إلى تضمين كتاباتهم العديد من الرؤى الإبداعية المتعلقة بالبيئة والطبيعة ، ومن بين هذه الرؤى ما يعرف بتطبيع الإنسان ، أو بيئته ، وفيها يقوم الشاعر بتحويل بطل قصيدته إلى طائر ، أو حيوان ، أو شجرة، أو صخرة ، أو قمر، أو أي شيء آخر من مكونات الطبيعة ، في إشارة منه إلى اندماج الإنسان ضمن مفردات البيئة وتطبيعه .

وقد ظهرت هذه الرؤية الإبداعية الإيكولوجية المتعلقة بتطبيع الإنسان وبيئته في أعمال الشاعر معروف الرصافي في عدة مواضع من أشعاره ، ومن بين هذه النماذج ما جاء في قصيدة عهد الصبا أو نهر الحياة ، حيث يقول [١] :

لقد ذوى غصن حياتي بعده ∴ وكان ريّان التصابي والمنى
أطيب عيش المرء في شبابه ∴ فإن تولّى فهو عيش مزدرى

فقد جعل الشاعر من نفسه شجرة عظيمة ، تقدم بها العمر ، فذبل غصنها وضعف ويبس بعد أن كان سليمًا معافى ، يتطلع إلى مستقبل مشرق، فإن أطيب وأفضل أوقات العمر هي مرحلة الشباب ، فإن ذهبت

(١) الديوان ، ص ٢١١ .

وتولت هذه المرحلة ضعف الغصن وذوى ، وقد تجلت هذه الرؤية الإيكولوجية في موضع آخر ، حين تحدث عن مراحل حياة الإنسان ، حيث يقول [١] :

إن حياة المرء ما عاش ترى ∴ أحوالها مختلفات في الرؤى
كالنهر الجاري الذي تغيّرت ∴ أوضاعه في الأرض كلما جرى
فهو لدى المنبع ضحضاح وفي ∴ مصّبه تلقاه بحراً قد طما[٢]
بيناه يجري في الثرى منعطفاً ∴ إذا بواديه تمطّى واستوى
طوراً كأسياف الوغى منحنياً ∴ في الأرض ينساب وطوراً كالقنا
وربما عادت مجاريه به ∴ راجعةً من حيث جاء القهقرى
وربما صادف غوطاً فانهوى ∴ فيه وقد خرّ خريراً ورغا
والماء فيه قد يرى منبسطاً ∴ وتارةً منزوياً فوق الثرى
وتارة تلقاه في مشجرة ∴ يجري وأخرى بين أصلاد الصفا
حتى إذا أبحر مجراه به ∴ كان إلى الدأماءِ منه المنتهى
وهكذا أنهار أعمار الورى ∴ تجري فتنصبّ إلى بحر الردى

فقد وصف الشاعر من خلال رؤيته الإيكولوجية مراحل حياة الإنسان العمرية عن طريق تطبيعها مع النهر فقد أسقط على الإنسان صفات النهر وحوّله إلى نهر تتغير أوضاعه فى الأرض وتختلف كلما جرى من مكان إلى آخر ، فهو عند المنبع ماء قريب قليل لا غمر فيه ، إشارة إلى وقت الطفولة

(١) الديوان ، ص ٢١١ .
(٢) ضحضاح : وَمَاءٌ ضَحْضاحٌ أَي قَرِيبُ الْقَعْرِ، وقيل الْمَاءُ الْيَسِيرُ؛ وَقِيلَ: هُوَ مَا لَا غَرَقَ فِيهِ وَلَا لَهُ غَمْرٌ ، لسان العرب، ابن منظور ، ٥٢٥/٢، مادة (ض ح ح) .

قبل العطاء ، ثم إذا ما وصل إلى المصب وقت الشباب ارتفع وملأ النهر في إشارة من الشاعر إلى وقت العمل والعطاء والقوة والنماء ، تارة يكون مثل أسياف الوغى يجري في المنعطفات وبين الصخور والجبال ، وتارة مثل الرماح في استقامتها ، ثم بعد ذلك يرجع للخلف من حيث أتى إشارة منه إلى تناقص صحة الإنسان بعد انتهاء سن الشباب ، ثم يختم هذا المقطع الشعري بقوله :

وهكذا أنهار أعمار الورى ∴ تجري فتنصبّ إلى بحر الردى

ليتوحد الإنسان مع البيئة في نظرة إيكولوجية أدبية حين أسقط على أعمار البشر صفات من صفات النهر ، فتجري أعمار الناس مثل جريان مياه النهر حتى تنصب في نهاية المطاف إلى الهلاك والموت ، ثم يتمنى الشاعر في نهاية هذه القصيدة أن لو كان الإنسان مثل البدر أو مثل الشجر ، حيث يقول [١] :

ما كان أحلى العيش لو أن الفتى ∴ لم يجد الشيب إليه مختطى

ليت الفتى كالبدر في النشأة إذ ∴ عاد هلالاً كل شهر فنما

أو ليته كالشجر النابت إذ ∴ يورق في الصيف ويعرى في الشتا

فقد سيطر التفكير الإيكولوجي على الشاعر حين ناقش قضية الموت والشيب عند الإنسان من خلال حديثه عن النهر من المنبع إلى المصب ، وإن أثر الطبيعة بيّن وواضح في القصيدة ، فلا نستطيع فهم القصيدة بمعزل عن تمثيل الطبيعة فيها ؛ حيث إن أعمار الأنهار التي وردت في القصيدة قُصد منها عمر الإنسان وكذلك أطواره المختلفة فهي أطوار حياة البشر ،

(١) الديوان ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

وها هو ذا يتمنى لو كان الإنسان مثل البدر في النشأة ، فإذا تحول الإنسان إلى بدر نجا من قضية الموت والهلاك ؛ لأن البدر حتى لو عاد بـــه الـــزمن فرجع هلالاً في أول الشهر العربي مع مرور الأيام يكبر وينمو مرة أخرى ، ولا ينطبق عليه قانون البشر ، أو يصبح مثل الشـــجر النابـــت ، حتـــى إن تساقطت أوراقه في وقت من أوقات العام سوف يورق مرة أخرى في وقـــت لاحق ، وبذلك ــ أيضًا ــ ينجو من الموت والهلاك البشري .

ومن خلال العرض السابق نلحظ أن الشاعر لجأ إلى تطبيع الإنسان في قصيدته ، وتحويله إلى بدر أو شجر خوفًا عليه من الموت والهلاك ، ممـــا يدل على رؤية الشاعر الإيكولوجية في حل المشكلات ، فالعلاقة بينه وبـــين الأرض شكلت بناء القصيدة لذا جاءت القصيدة رؤية إيكولوجيـــة ســـيطرت على تفكير الشاعر ومقترحاتـــه ، مـــن خـــلال طـــرح المشـــكلة والحلـــول الإيكولوجية للقضية .

رابعاً : تدمير الطبيعة :

ظهرت الرؤية الإيكولوجية في شعر معروف الرصافي بصور متنوعة، من خلال حديثه عن البيئة، وتوظيفه للمفردات الإيكولوجية في إلقاء الضوء على ما لحق بالبيئة من دمار سواء أكان بسبب ويلات الحروب أو الحرائق أو غيرها من أنواع الاعتداء المختلفة على الطبيعة ، ومن بين هذه الروائع ما جاء في قصيدة أم الطفل في مشهد حريق ، حيث يقول [١] :

كانت بها السمرات الخضر زاهية ∴ واليوم لا سمر فيها ولا ضال
ما بالها وهي أقفاص مبعثرة ∴ تغبرّ فيهن أبكار وآصال
هل هدّ بنيانها من فوقُ صاعقة ∴ أوهدَ بنيانها من تحت زلزال
بل قد عفتها فلم تترك بها أثراً ∴ ريح لها من لهيب النار أذيال
شبّ الحريق بها ليلاً مشيّدةً ∴ فما أتى الصبح إلاّ وهي أطلال
أثارت النار في أطرافها رهجاً ∴ من الدخان كأن النار أبطال[٢]

فقد صور الشاعر في المشهد السابق صورة من صور تدمير الطبيعة ، جراء حريق هائل اجتاح عدة أماكن، فتركها قاعًا صفصفًا ، بعد أن كانت مخضرة زاهية مشرقة ، وتعكر صفو جوها فصار لونه كلون الغبار ، ثم يتساءل الشاعر عن هذا الدمار والخراب هل هو بسبب صاعقة نزلت من السماء ؟ أم بسبب هزة أرضية اقتلعت جذورها ؟ فلم تترك لها أثرًا ، فقد كانت هذه الأماكن مشيدة ومرتفعة البناء قبل أن يدمرها ذلك الحريق الذي تركلها أطلالاً ، وقد أثارت النار في أطرافها غبارًا مثل غبار الحرب ، ثم

(١) الديوان ، ص ٢٩٢ .
(٢) رهج: الرَّهْجُ والرَّهَجُ : الْغُبَارُ، لسان العرب، ابن منظور ، ٢٨٤/٢، مادة (ر ه ج) .

صور النار بأبطال المعركة الذين دمروا عدوهم ونكلوا به أشد تنكيل ، فقد عملت هذه النار على دمار البيئة والاعتداء عليها ، وتخريبها ؛ مما أثار في نفس الشاعر نوع من أنواع الغيرة على الطبيعة والغضب مما حدث لها ، وبما أن الشعر هو الأداة الطيعة التي استطاع بها معروف الرصافي أن يُعبر عما يجول في نَفْسِه من مشاعر متدفقة ، فكان المتحدث باسم الطبيعة، والناطق بلسانها والمدافع عنها أمام تعديات البشر، ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير إيكولوجي للبيئة بعد دمارها جراء الحريق الذي لحق بها، وحالته النفسية الذي تدهورت ــ أيضًا ــ بسبب ما أصاب البيئة، حيث يقول[١] :

قد رُحت للحيّ مذعوراً أُيمّمه ∴ ولي عن الزُمَر الباكين تسآل
وفي العراص ديار القوم خاوية ∴ وفي الشوارع نِسوان وأطفال
جلسنَ والشمس فوق الرأس دانية ∴ وللغبار بعرض الحيّ تجوال
ولا خمار فيرددن الغبار به ∴ ولا يقيهنّ حرّ الشمس سربال
حتى وقفت وقلبي كلّه جزع ∴ وأدمعي لجج طوراً وأوشال[٢]

ذهب الشاعر إلى الحي بعد ما أصابه من دمار وخراب حزينًا مذعورًا لما شاهده من أثار هذا العدوان البشري على الطبيعة ، فوصف حال القوم وقد تفرقوا في شوارع الحي ؛ لأن بيوتهم تخربت وتهدمت ، حتى أن ملابسهم قد تحرقت ولا يوجد لديهم ما يدفع عن أنوفهم الغبار ، أو يقيهم حر الشمس المتعامدة فوق الرؤوس ، فيقف الشاعر باكيًا ، وقلبه يتألم من

(١) الديوان ، ص ٢٩٣ .
(٢) وشل : الوَشَل ، بِالتَّحْرِيكِ : الماءُ الْقَلِيلُ ، وَالْجَمْعُ أَوْشَال ، لسان العرب، ابن منظور ، ٧٢٥/١١، مادة (و ش ل) .

شدة الحزن ، فتنهمر أدمعه كثيرة مرة وقليلة أخرى ؛ حزنًا على الطبيعة وحال أهلها بعد الدمار والخراب الذي لحق بهما .

ومن مظاهر الانتماء للمنظومة الإيكولوجية عند الرصافي ، تأثره بما يحدث للبيئة من تدمير وتخريب ، وتفاعله مع هذه المشاهد القاسية، فيصور لنا من خلال الإيكولوجية العميقة ــ في مشهد تشوهت بيئته ــ ما تعانيه تلك البيئة بعد تعرضها لحريق هائل ، حيث يقول [١] :

قف بالديار فقد أناخ بها البِلى ∴ وانظر فقد قرعت بهنَّ السُّوحُ
نزل الحريق بها فشتَّت شملها ∴ فغدت عِراصًا وهي قبلُ صُروح
بكرَ الشواظ بها يُنَضْنِضُ ألسنًا ∴ من هول مطلعها تذوب الروح [٢]
نشر اللَّهيب على البيوت ملاءةً ∴ حمراءَ تصفِق جانبيها الريح
فتعبَّستْ منه السماء وأمطرت ∴ نارًا وقد أخذ اللهيب يسيح
وعلا الدخانُ على البيوت سحائبًا ∴ برق المهالكِ بينهن لُموح
أما الشرار فكان وبلا مُنبتًا ∴ نُوَبًا برائحةِ الدمار تفوح
والشمس قد كُسِفت بِجَونِ دخانهِ ∴ وبدت عليها سَفعة وكُلوح

فوقف الشاعر أمام هذا الدمار يبكيه على غرار وقوف الشعراء القدامى على الطلل ، ثم أخذ في سرد مراحل الحريق التي لحقت بالحي ، حيث تحركت ألسنة اللهب وانتشرت فوق البيوت حتى أصبحت وكأنها ملاءة تغطي الحي بأكمله ، وانتشر الدخان على البيوت فأصبح مثل السحاب ، مع تطاير الشرار يمينًا ويسارًا حتى حجب دخانه الأسود ضوء الشمس الذي

(١) الديوان ، ص ٢٩٥، ٢٩٦ .
(٢) نَضْنَضَ لسانَه: حرَّكه ، لسان العرب، ابن منظور ، ٢٣٨/٧، مادة (ن ض ض) .

تحول إلى اللون الأسون المائل إلى الحمرة مع تكدر الهواء ، ويبدو لنا من خلال العرض السابق عمق النظرة الإيكولوجية الداخلية عند الشاعر والتي تمثلت في وصفه الدقيق لما حلَّ بالبيئة من دمار واعتداء تكدرت بسببه جميع الأجواء ، وكذلك حزنه الشديد على جمال الطبيعة ، الذي أفنته النار ، ومن فرط حبه للطبيعة فقد أبكاه ما حل بها ، حيث يقول [١] :

ولقد وقفت حيالها ومدامعي ∴ تسخو سوى أن العزاء شحيح

فالبيئة هي كل همه ، ومشكلاتها تؤرقه ، وخرابها يحزنه ويبكيه ، لذا فقد عمد الرصافي من خلال شعره الإيكولوجي ، ودلالاته النصية ، أن يوجه وينصح بالحفاظ على البيئة وعدم إهمالها حتى لا تتعرض لهذا الخراب والدمار ، فيضر ذلك بالإنسان بصفة عامة ، وبعد وقوع هذا الخراب لا عزاء في ذلك بعد أن وقع المحظور ، فنراه يختتم كلامه قائلاً : [٢] :

هَلا أخذتم للخطوب عتادها ∴ كي لا يكون لها بكم تبريح
لا تستنيموا للزمان فأخذه ∴ خلسٌ وقوس الحادثات ضروح

فقد اختتم كلامه بصيغة التحضيض ؛ للتأكيد على أهمية الحفاظ على البيئة ووجوب الاستعداد للنوائب والأخطار ، وعدم الإهمال حتى لا تتعرض البيئة للأذى الشديد ، ثم يحذرهم من التغافل والإهمال وعدم الاستعداد ؛ لأن أخذ الزمان لا يكون إلا فجأة بجانب قوته وشدته .

---

(١) الديوان ، ص ٢٩٥ .

(٢) الديوان ، ص ٢٩٦ .

ثم يصورها بصورة عابسة بعد تعرضها للتخريب من أثر الحروب الغاشمة ، فيقول : [١] :

واستفحلت فتنة عمياء جائحةٌ ∴ تمخَّضت في دم الأرض مسفوح
وقامتِ الحرب باللأواء شاملة ∴ كل البسيطة حتى الأبحر الفيح[٢]
والأرض قد أصبحت من مكر ساكنها ∴ مُحمرَّةَ اللُّوح أو مُغبرَّةَ السوح
ضاقت على الناس وانسدَّت مسالكها ∴ فعاد كل طريق غير مفتوح

فقد تعرضت الطبيعة لتدمير بني البشر بعد ما أثيرت الفتن ، وقامت الحروب ، وسفكت الدماء فلطخت سطح الأرض ، تلك الحرب التي أسفرت عن الشدة والقحط والجدب ، فضاقت السبل وغلِّقت مسالكها ، حتى الأبحر الواسعة طالها هذا الدمار والتخريب ، وهنا يصور لنا الشاعر في مشهد إيكولوجي منظر الأرض بعد ما عبثت بها يد غادرة فحولتها إلى مشهد ضبابي ، حتى أصبحت الأرض (محمرة اللوح أو مغبرة السوح) إشارة إلى ما خلفته الحرب من أثار هدم وقتل ودمار عكر صفاء جوها ، وأغضب الشاعر وأوجع قلبه ، فنراه يقول [٣] :

أما التي أوجعت قلبي بمنظرها ∴ وأوهنته بتبضيعٍ وتقريح
فغادة عضَّت الحربُ الضروسُ بها ∴ عضًّا بناب حديد غير مرضوح

فقد أوجع قلبه هذا المنظر ، حيث إن الحرب دمرت الطبيعة بناب من حديد لا يفل ولا ينكسر .

---

(١) الديوان ، ص ٢١٧ .
(٢) اللأْواء : تعني الشِّدَّةُ وَضِيق الْمَعِيشَةِ؛ واللأْواء المشَقة وَالشِّدَّةُ، وَقِيلَ: القَحْط، لسان العرب، ابن منظور ، ٢٣٨/١٥، مادة (ل أ ي) .
(٣) الديوان ، ص ٢١٧ .

المبحث الثاني

التشكيل الفني عند الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي

ما طرحناه في المبحث الأول من رؤية الشاعر الإيكولوجية نحو قضايا البيئة ، في محاولة لتأصيل مفهوم النقد البيئي لابد أن يحظى بمؤازرة فنية، تُسهم فيها لغة الأدب وجمالياته الفنية في استكمال وظيفته في خلق وعى إيكولوجي بالطبيعة وعناصرها المختلفة ، فلا يمكن الفصل بين رؤية الشاعر للبيئة وجماليات العمل الأدبي ، التي تعمل على تعضيد المنظومة الإيكولوجية في النص، وذلك على أساس أن الأديب أو الشاعر " يلجأ إلى إعادة بناء هذا العالم وفق رؤى مختلفة وسياقات فنية جديدة " (١) ، وهو ما سنتعرض له في هذا المبحث بالدراسة والتحليل ؛ لتعضيد الدراسة الموضوعية .

وقد تميز شعر معروف الرصافي بميزات فنية كثيرة ومتعددة ، فهو يتمتع بقوة لغته وبساطتها ، وجزالة أسلوبه ووضوحه بما يتماشى مع عصر الشاعر، كما أنه يميل إلى العاطفة وهذا ما يظهر في قصائده المتعلقة بالبيئة ، وكان الرصافي لا يهتم بالمنمقات والزخارف الفنية ، فانساب شعره في سلاسة وعذوبة ، لذا يُصنف شعره بشعر المعاني والأفكار ، لا شعر الزخارف والمحسنات .

وسوف نتناول في هذا المبحث من الدراسة المعجم اللغوي ، والصورة الشعرية ، والموسيقى عند الشاعر من خلال النظرة الإيكولوجية .

---

(١) المعنى خارج النص ، أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي، دار نينوى، دمشق ، ٢٠١١م ، ص ٨٨ .

أولاً : المعجم اللغوي والإيكولوجيا :

تُعد اللغة الشعرية ملمحاً من أظهر الملامح الفنية التي يتبين من خلالها مدى وعي الشعراء بطرق التعبير الملائمة لأفكارهم كما تمثل اللغة ــ المذكورة ــ مجموع الألفاظ التي تتعلق بوسيلة التخاطب والتفاهم بين جماعة من الناس . وهي تعبر عن واقع الفئة الناطقة بها ، ونفسيتها ، وطبعها ، ومناخها الاجتماعي والتاريخي [١]، واللغة في حدِّ ذاتها عبارة عن « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[٢]، ولكل فئة من الناس لغة تتخاطب بها ، تعبر عن مشاعر أفرادها وانفعالاتهم تجاه المواقف والأحداث، ولكل غرض من الأغراض الشعرية ما يتميز به من ألفاظ وأساليب .

فاللغة هي المادة الأساسية التي يتألف منها النص الشعري ، والتي تمثل فكر الشاعر وأسلوبه ، وتعبر عما يجول في أعماقه ، ولذا يتحتم علينا تحديد دراسة اللغة التي يتم بها كتابة الأعمال الأدبية ، للتعرف على قدرة الشاعر وتميزه بين أقرانه .

وقد امتاز أسلوب الرصافي بالسهولة والوضوح ، وامتازت لغته بالعذوبة والرقة والسلاسة، وتناغمها مع البيئة ، وإذا تساءلنا عن سر هذا الوضوح الفني وجدناه يكمن في محاولة معروف الرصافي إيصال رسالته وأفكاره إلى الناس بأوضح عبارة كما أفصح هو عن ذلك ، حيث يقول[٣] :

---

(١) ينظر : المعجم الأدبي ، للدكتور / جبور عبد النور ، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م ، صـ ٢٢٧ .

(٢) المعجم المفصل في الأدب ، للدكتور / محمد التونجي ، الجزء الثاني ، صـ ٧٣٧ ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .

(٣) الديوان ، ص ٧٤ .

إذا أنـــا قصـــدت القصـــيد فلـــيس ∴ لـــي بـــه غـــير تبيـــان الحقيقـــة مقصـــد

فالتزم الشاعر بهذا المبدأ ، وكانت لغته سهلة واضحة ، كمـــا تميـــز بقدرة فائقة على نظم الشعر الإيكولوجي العذب ، الذي تتفجر فيـــه ينـــابيع شاعرية إيكولوجية صافية لا يجف معينها ، ولا ينقطع سيلها ، دون تصـــنع أو تكلف ، فمن النماذج التي تجلت فيها الألفاظ الإيكولوجية ، قوله [١] :

فراشـــة الروضـــة ظلّـــت لـــذا ∴ تحـــوم والأزهـــار مـــن تحتهـــا
تقبّـــل الزهـــرة ذات الشـــذا ∴ طـــائرة منهـــا إلى أختهـــا
وتســـأل الأزهـــار عمّـــا إذا ∴ مـــرّ فقيـــد الـــورد مـــن سمتهـــا
لتخـــبر البلبـــل بعـــض الخـــبر ∴ لعلّـــه غمتّـــه تنجلـــي
فإنـــه بـــات حليـــف الســـهر ∴ مـــذ نـــزح الـــورد عـــن المنـــزل

فقد احتوى المقطع السابق على العديد من الألفاظ الإيكولوجيـــة التـــي تشير عبر دلالتها وانزياحاتها اللغوية إلى المجاز في علاقـــة تبـــادل بـــين الشاعر والبيئة ، حتى يصلا معًا إلى لحظة التوحد ، فمن خلال الأنسة لبعض مكونات الطبيعة استعان الشاعر بألفاظ تتلاءم مع اللوحة الإيكولوجية ، منها (فراشة ، الروضة ، الزهرة ، البلبل ، الشذا ، الـــورد) ، فهـــذه الألفـــاظ الرقيقة العذبة تعكس روعة المنظر ، وتبرز عواطف الشاعر الجياشة تجـــاه البيئة ، والرصافي كان يتخير ألفاظه حسب المعاني ، فإن لكـــل كلمـــة فـــى القصيدة موضعها الصحيح الذى تقوم فيه بدورها ، ووظيفتها ، وفي ذلـــك يقول ابن الأثير " فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقـــف الحـــروب وفـــى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، أما الرقيق منها فيستعمل فى وصف

(١) الديوان ، ص ٧٤ .

الأشواق وذكر أيام البعاد ، وفى استجلاب المودات ، وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك " [١] ، ومن النماذج التي جاءت فيها الألفاظ مناسبة للمعاني ــ وهي كثيرة ــ في شعر الرصافي ، قوله [٢] :

متعطّر فيها النسيم كأنّما ∴ جيب النسيم على الشذا مزرور

للنرجس المطلول ترنو أعين ∴ فيها وتبسم للأقاح ثغور

تخذت خزاماها البنفسج خدنها ∴ وغدا يشير لوردها المنثور

فجاءت الألفاظ من المعجم اللغوي الإيكولوجي مناسبة للمعاني ، وللوصف الدقيق لهذا المنظر البيئي متعدد الألوان ، ومن هذه النماذج ــ أيضًا ــ قوله [٣] :

والبحر في جبهته الصافيه ∴ قام طريقٌ للسنا مستقيم

لم تخفَ في أثنائه خافيه ∴ حتى ترى فيه اهتزاز النسيم

وقفت والريح سرت سجسجا ∴ وقفة مبهوت على الساحل[٤]

فقد صور لنا الشاعر حالة الهدوء والسكون التي ظهر عليها البحر، بألفاظ تتناسب وحركة النسيم الهادئة مع اهتزازه ببطئ ، حتى حركة الريح لم تكن بالسريعة فقد كانت سجسجًا ، مما يعكس مهارة الشاعر في تخير ألفاظه المناسبة للمعاني ، والدالة على وعيه البيئي ، نلحظ ذلك من خلال

---

(١) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لأبى الفتح ضياء الدين ابن الأثير ، تعليق : الدكتور / أحمد الحوفى ، و الدكتور / بدوى طبانه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، الجزء الأول ، ص ١٨٥.

(٢) الديوان ، ص ٧٤ .

(٣) الديوان ، ص ٢٦١ .

(٤) رِيحٌ سَجْسَجٌ: لَيِّنَةُ الْهَوَاءِ مُعْتَدِلَةٌ، لسان العرب، ابن منظور، ٢/٢٩٥، مادة (س ج ج) .

المفردات المستخدمة في الصورة (الصافية ، السنا ، النسيم ، اهتزاز ، سرت ، سجسج) فجميعها مفردات دالة على الحركة المعتدلة الهادئة ، التي تتميز بالسكون .

وبالنظر فى المعجم الشعرى الإيكولوجي لألفاظ الشاعر معروف الرصافي ، نلحظ أن ألفاظه قد اتسمت بالعديد من السمات الفنية ، علمًا بأن السمات الفنية للألفاظ لا تتأتى دلالتها المقصودة ، إلا من خلال تمازجها ، وانسجامها مع كافة عناصر الإبداع الشعرى الأخرى . ومن بين هذه النماذج التي تناغمت فيها لغته الشعرية مع مكونات البيئة ، قوله [١] :

وقفت على البسفور والريح عاصف ∴ وللدَوح ظلّ دونه متقلّص[٢]
وفي البحر تجري موجة أثر موجةٍ ∴ كجري طموح الخيل إذ يتوقّص
ويزبد أعلى الموج حتى كأنه ∴ هضاب إلى أطرافها الثلج يخلص
كأن رياح الجوّ عند هبوبها ∴ تغنّي وهذا الموج في البحر يرقص
كذا حادثات الدهر تمضي رواقصاً ∴ بها العيش يصفو أو به يتنغّص

فيقف الشاعر في الأبيات السابقة مسحورًا أمام جمال هذا المكان ، وروعته ، فتتجلى براعته في اختيار الألفاظ الجزلة الواضحة التي تتلاءم مع الدلالات ، وتنسجم مع الطبيعة ، وتجري إلى الأذهان كما تجري الأمواج في البحار عذبة منسابة لا يوقفها شيء ، منها : (الريح ، الدوح ، البحر ، الموج ، الثلج ، الهضاب ، الدهر ، العيش ، وتهب ، وتجري ، يرقص ،

(١) الديوان ، ص ٢١٩ .

(٢) البسفور : مضيق يوصل بحر مرمرة بالبحر الأسود ، وفيه من محاسن الطبيعة مايقف المرء أمامه مسرورًا مسحورًا ، الديوان ٢١٩ .

يتنغص ، يصفو ، تمضي) تلك الألفاظ القريبة إلى الذهن الملائمة للفكرة ، ولأنها كثيرة الاستعمال ، يسهل استيعاب مضمونها بيسر ، وسهولة ، دون الحاجة للرجوع إلى المعاجم والتنقيب عن الدلالات وتعددها ، وهذا الميزة تفرد بها الرصافي عن غيره من الشعراء ، فكان معجمه الإيكولوجي سهلاً جزلاً ، لا تعقيد فيه ، ولا غرابة ، وترجع رقة الألفاظ وعذوبتها لحس الشاعر المرهف نحو الطبيعة وحبه لها ، وفي موضع آخر يقول [١] :

جبل سمت منه الفروع وأصله ∴ تحت البسيطة راسخ الأركان
تهفو الغصون به النهار وفي الدجى ∴ تهفو عليه ذوائب النيران
وترى النجوم على ذراه كأنها ∴ من فوقه درٌ على تيجان
يجري النسيم الغضّ بين رياضه ∴ مرخى الذيول معطّر الأردان
جلت الطبيعة في رباه بدائعاً ∴ تكسو الكهول غضاضة الشبان

فقد جلت الطبيعة في رباه بدائعًا ، وهذه البدائع هي التي سحرت الشاعر بحبها ، فجعلته لا يرى جمالاً غير جمالها ، فأصبح متيمًا بكل مكوناتها ، يتفنن في وصفها بأعذب الألفاظ ، ويتخير أرق الأساليب ، وأوضحها ، فقد امتاز أسلوب الرصافي بالاستقلال الفني، فكان له قدرة فائقة على نظم الشعر العذب السلس الرقيق الذي تفجر من ينابيع شاعرية صافية لا ينضب معينها ، ولا ينقطع عطاؤها ، في دعة لا تشعر معها بالملل أو الرتابة .

وهذا المعجم اللغوي الإيكولوجي يضفي تناغمًا شعريًا مع كل مكونات المنظومة الإيكولوجية لدى المتلقي .

---

(١) الديوان ، ص ٢٣٨ .

ثانياً : الصورة الشعرية والإيكولوجيا :

إن الحديث عن الصورة الشعرية من أكثر الأمور حساسية ، وتعقيداً، حيث إنها تُعد من أهم المقاييس التي يعتمد عليها الناقد عند إصدار الأحكام على الشاعر أو الأديب ، ولذا فللصورة أهمية بالغة، فهي عنصر لا يُستغنى عنه ، ولا يمكن أن يخلو منه العمل الأدبي ، فمن خلال الصورة يستطيع الشاعر أن ينقل مشاعره للمتلقي ، وأن يبث في قصيدته الحياة والحركة والجمال ، فالصورة من الأمور التى يرتكز عليها الشعر فهى الأداة الذى يعرض بها الشاعر أفكاره وخواطره للمتلقي .

وتكمن أهمية دراسة الصورة الشعرية والإيكولوجية في الكشف عن مكنونات الشاعر تجاه البيئة ، " فإن دراسة الصورة الفنية وتحليل عناصرها وعلاقاتها ربما كانت من أفضل الوسائل للكشف عن المعاني الخفية للنصوص الأدبية التي كونتها عقلية أصحابها ورؤيتهم للكون والإنسان والحياة " (١) .

فالصورة الشعرية هي أداة الشاعر الفنية التي يعبر بها عن تجربته الشعرية ، ويرسم من خلالها مشاهد حياته وواقعه ، مستعيناً في ذلك بالألفاظ والأساليب الدالة على فكرته ، لذا فإن " الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب ، والإيقاع ،

---

(١) الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ، للدكتور / عبد القادر الرباعي ، دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م ، ص ١١٨ .

والحقيقة، والإيجاز، والترادف، والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صورة شعرية" (١) .

ويلاحظ أن الصورة الشعرية في النقد القديم ترتكز على جملة من العناصر الرئيسة يأتي في مقدمتها التشبيه والتمثيل والاستعارة ، ولم يكن الرصافي ــ الشاعر المطبوع ــ من الشعراء الذين يحتفون بالصور الشعرية، أو يتغنون بالزخارف البديعية ، لكنه كان يوظفها في خدمة المعاني التي كانت تنقاد إليه فتغنيه عن التكلف والتصنع .

ومن الصور الشعرية التي تجلت فيها الرؤية البيئة عند الشاعر معروف الرصافي ، حين صور الشمس وقت غروبها وما أصابها من حزن ، حيث يقول (٢) :

نزلت تجرّ إلى الغروب ذيولا ∴ صفراءَ تشبه عاشقاً متبولا
تهتزّ بين يد المغيب كأنها ∴ صبّ تململ في الفراش عليلا
ضحكت مَشارقها بوجهك بكرةً ∴ وبكت مغاربها الدماء أصيلا

حيث شبه الشمس بالفتاة الحسناء المترفة التي تجر ثوبها الفضفاض، وشبه لونها الأصفر من أثر الحب بلون الشمس الأصفر ، وشبه اهتزازاها وتقلبها في يد المغيب بتململ العاشق وتقلبه على الفراش من أثر الصبابة والعشق ، وفي البيت الثالث يشبه الشمس بإنسان يضحك عند الشروق

(١) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور / عبد القادر القط ، مكتبة الشباب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٣٩١ .
(٢) الديوان ، ص ٢٠٠ .

ويبكي عند الغروب ، في صورة حسية مركبة تنم عن إحساس الشاعر بالبيئة واندماجه في مكوناتها ، مما ساعده على اختيار صورة من عمق الطبيعية مرتبطة بالواقع ، وتشير هذه الصورة المركبة من عدة تشبيهات متناسقة ومترابطة إلى رؤية الشاعر تجاه البيئية ، ووعيه بأهميتها ،

وفي موضع آخر يتغنى فيه الشاعر بالصورة الإيكولوجية الجذابة ، والتي تكسب النص دلالات فنية متميزة تعمل على كسر الرتابة والملل لدى المتلقي يقول (١) :

كأنّ التفاف الدوح بينها ∴ جيوب من الأنوار زرّت بأزرار

حيث شبه الشاعر الأغصان المتشابكة بالجيوب ، وشبه ما يتراءى خلالها من أنوار الشمس بالأزرار التي زرت بها تلك الجيوب ؛ لتتجلى الرؤية الإيكولوجية عند الشاعر من خلال اعتماده على صور مركبة من عدة تشبيهات كلها من الطبيعة ، فجميع أركان التشبيه مركبة من البيئة ، مما يعكس الرؤية الإيكولوجية العميقة عند الشاعر معروف الرصافي .

ومن الصور الفنية التي رسمها الرصافي ؛ لتعكس رؤيته الإيكولوجية العميقة ، قوله (٢) :

يجري النسيم الغضّ بين رياضه ∴ مرخى الذيول معطّر الأردان
جلت الطبيعة في رباه بدائعاً ∴ تكسو الكهول غضاضة الشبان
يا صاحبيّ أتذكران فإنني ∴ لم أنس بعد كما سوى النسيان
إذ كان يغبطنا الزمان ونحن في ∴ وادي الفريكة منبت الريحانى

(١) الديوان ، ص ٢٦٥ .
(٢) الديوان ، ص ٢٤٠ .

والليل يسمع ما نقول ولم يكن ∴ غير الكواكب فيه من آذان
فكأنّ جولتنا بصدر ظلامه ∴ سرٌّ يجول بخاطر الكتمان

فقد عبَّر الشاعر عن نظرته الإيكولوجية من خلال أنسنة الهضاب والنسيم والليل وغيرها من مكونات الطبيعة في صورة شعرية تشع منها الحركة ، فقد صور الهضاب بالإنسان الذي يضحك ، والنسيم يجري مراوغًا بين الرياض ، والليل يسمع كلامهم على الرغم من سكونه وخلوه ، وهذه الصورة التي رسمها الرصافي من خلال مكونات الطبيعة ، تشير إلى العلاقة القوية بين الإنسان والبيئة ، فقد اندمج هو وأصدقاؤه ضمن الصورة ، مما أكسبها حيوية وجمالاً ، فكانت أكثر جذباً للمتلقي .

والطبيعة من العوامل التي تثير قريحة الشعراء وتحثهم على الإبداع، فقد " قيل لكثيّر : يا أبا صخر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال : أطوف فى الرّباع المخلية والرياض المعشبة ، فيسهل علىّ أرصنه، ويسرع إلىّ أحسنه ، ويقال أيضا إنّه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى " [١] ، فها هو ذا معروف الرصافي يرسم لنا لوحة فنية تجسد وعيه بالبيئة ، حيث يقول [٢] :

كأنّي وقد جَدَّ الفراق سفينةٌ ∴ أشالت على الريح الهَجومِ شراعا
فمالت بها الأرواح والبحر مائج ∴ وقد أوشكت ألواحها تتداعى
فتحسبني من هزّة فيّ أفْدَعاً ∴ ترقَّى هضاباً زُلزلت وتِلاعا

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٣هـ ، الجزء الأول ، ص٨٠ .
(٢) الديوان ، ص ١٢٧ .

ففي الأبيات السابقة نلحظ أن الشاعر صور نفسه بالسفينة التي تجري في بحر مرتفع الأمواج ، تهجم عليها الرياح والعواصف ، وقد رسم الشاعر هذه الصورة من خلال وعيه الإيكولوجي بما يحيط به من عناصر البيئة ، فهي مصدر إلهامه وإبداعه .

وقد أكثر الرصافي من استخدامه للصورة المعتمدة على التشبيه ، يقول الجرجاني عن التشبيه : " اعلم أن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرًا أن يجئ في الهيئات التي تقع عليها الحركات " (١) ، وقد جمع الشاعر في تشبيهاته بين الحركة والبيئة ، حيث يقول (٢) :

بدت كالشمسَ يحضُنها الغروب ∴ فتاةٌ راع نَضْرتها الشُحوب
منزّهة عن الفحشاء خَوْد ∴ من الخَفِرات آنسة عَروب
نَوار تستجِدّ بها المعالي ∴ وتَبلى دون عفتها العيوب

فقد شبه محبوبته التي شوهت نضارتها الشحوب بالشمس التي تميل نحو الغروب ، مستعينًا بالطبيعة في رسم لوحته الفنية المتحركة ، فالتشبيه في الأبيات السابقة يشير إلى حركة تشكلت من خلال الألفاظ الدالة على ذلك مثل : (بدت ــ يحضنها ــ الشحوب ــ نوار ــ تبلى ــ الغروب) ، والتي استطاع من خلالها أن يجسد أمام القارئ صورة تشبيهية متقنة .

وفي صورة شعرية إيكولوجية مضيئة ، يصف فيها إحدى الحدائق الغنَّاء ، حيث يقول (٣) :

---

(١) أسرار البلاغة فى علم البيان ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م ، ص ١٣٤ .
(٢) الديوان ، ص ٥٤ ، ٥٥ .
(٣) الديوان ، ص ٢٢٩ .

نـــاح الحمـــام وغـــرّد الشـــحرور ∴ هـــذا بـــه شـــجن وذا مســـرور
في روضـة يشـجي المشـوق ترقـرق ∴ للمـــاء في جنباتهـــا وخريـــر
مـاء قـد انعكـس الضـياء بوجهـه ∴ وصـــفا فـــلاح كأنـــه بلّـــور
قـد كـاد يمكـن عنـد ظنّـي أنـه ∴ بالمـاس يوشـر منـه لـي موشـور
وتسلسـلت في الـروض منـه جـداول ∴ بـــين الزهـــور كـــأنهنّ ســـطور
حيـث الغصـون مـع النسـيم موائـل ∴ فكـــأنهنّ معـــاطف وخصـــور

فإن الصورة فى الأبيات السابقة تتسم بالبساطة ، والوضوح فهى عبارة عن تشبيهات داخلية جزئية تتضامن هذه التشبيهات مع بعضها ؛ لتكوين الصورة الكلية ، والتي يوضح من خلالها كيف تنسجم جميع الكائنات في الكون في تناغم جميل ، لقد غرّد الحمام والبلبل فوق الروضة ، والماء يجري في جنباتها ، وقد انعكس على صفحاته النور فظهر وكأنه البلَّور ، في واحدة من تشبيهاته القوية التى تترابط واحدة تلو الأخرى ؛ لتكون هذه الصورة الإيكولوجية العجيبة المنتظمة في أشكال هندسية بديعة ، حتى أن الجداول التي شكلها الماء أثناء سيره ظهرت وكأنها سطور بين الزهور تحزمها .

ومما زاد الصورة جمالاً ، استخدام الشاعر للألفاظ المناسبة للفكرة والمستوحاه من الطبيعة ، والتي ترمز إلى الفرح والسرور والبهجة والنور، مثل (شجن، روضة ، ترقرق ، غرد ، خرير ، الضياء ، بلور ، الماس ، موشور ، جداول ، الزهور ، الغصون ، النسيم ، معاطف ، خصور) ، لما لهذه الألفاظ من دور كبير واضح ، ودلالات إيكولوجية أثرت الصورة الشعرية بمختلف الألوان الزاهية التي أراد الشاعر أن يشعر بها المتلقي .

ومن خلال هذه الصورة نلحظ رؤية الرصافي للمنظر الإيكولوجي ، حيث يرى الرصافي في الطبيعة الكمال الذي يحلم به والحنان الذي افتقده في المجتمع ، فكان يحلم بالهروب إلى الروضة والامتزاج معها ، تلك الروضة التي لا يرى لها مثيل ، حيث يقول [١] :

ماذا أقول بروضة عن وصفها ∴ يعيا البيان ويعجز التعبير

فقد عجزت الكلمات عن وصفها ؛ لشدة جمالها وتناغمها ، وهنا يظهر الرصافي في صورة العاشق للطبيعة بكل ما فيها من موجودات ، حيث روعة هذا الجمال الذي توحد معه الشاعر فسمع ألحان الطيور ، وانسجم مع خرير الماء ، فقد أثرت البيئة في الشاعر وشكلت العديد من طبائعه ، فشعر بأنه جزء لا يتجزأ من هذه اللوحة الفنية الجميلة المعتمدة على الألوان والتي استطاع من خلالها أن يبرز مشاعره بصورة زاهية مشرقة بألوانها ، إلا أنه لا يستطيع أن يصف جمالها وروعتها من خلال هذه الكلمات .

وختامًا فإن " الطبيعة بكل ما تنطوي عليه من أشياء وجزئيات وظواهر هي المصدر الأساس لإمداد الشاعر بمكونات الصورة "[٢] ، والرصافي يُعد من الشعراء الذين سحرتهم الطبيعة بكل مكوناتها.

---

(١) الديوان ، ص ٢٢٩ .

(٢) الصورة والبناء الشعرى ، للدكتور / محمد حسن عبد الله ، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٣ .

ثالثاً : الموسيقى والإيكولوجيا :

يُعد البناء الموسيقي ركناً مهماً لفهم النص الشعري والحكم على جودته ، فالمعاني مشتركه بين الشعراء جميعاً كما يقول الجاحظ : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي ، والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ،.... " [١] ، فالموسيقى بالنسبة للشعر بمنزلة الروح للجسد ، والألوان للصورة " فلا قيمة للشعر بدونها إذ إن موسيقى الشعر ووزنه يكسبان الشعر الخلود والاستمرار" [٣] ، وقد تناغمت الموسيقى مع مكونات الطبيعة عند الرصافي ، فكأن قصائدة الشعرية لحن تتجاذبة البلابل فوق أغصان الأشجار لتغرد به أعذب الألحان .

والشاعر الماهر المتمكن من أدواته هو من يستطيع أن يتخير لقصيدته ما يناسبها من موسيقى، فإن الموسيقى الحقة هي التي تتلاءم مع التجربة الشعرية وتساير موضوع القصيدة ، وهذا يؤكد العلاقة الوطيدة بين الموسيقى والعملية الإبداعية، يقول " سبنسر" : "إن خير الموسيقي ما تتمشى مع الأفكار ، وتتساوق مع المعاني ، وتتجاوب ألوان نغماتها ونبراتها مع حالات النفس ، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النغمة ، وفى حزنه يكون منخفضها ، وفى تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون المسافات الصوتية قصيرة ، وأما في بثه

---

(١) الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الجزء الثالث ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ ، ص ٦٧ .

(٣) حرية الأديب ورسالة الناقد ، للدكتور/ عيد عبد الرحمن قناوي ، دار الوفاق أسيوط ، ٢٠٠٢م ، ص١٠٤ .

وألمه فتكون مسافات الصوت طويلة ، وهكذا تساير النغمات حالات النفس ، كما تساير موضوع القصيدة وفكرته " [١] .

والشاعر معروف الرصافي من الشعراء الذين التزموا الأوزان الخليلية، وحافظوا على القوافي دون الخروج عليها ، والحديث عن الموسيقى الشعرية باب كبير وواسع ، لا نستطيع أن نوفي حقه في هذه الدراسة الإيكولوجية الدقيقة ، وسوف نكتفي بالحديث عن الموسيقى الداخلية المتمثلة في موسيقى الكلمة والحرف وما يحدثه تناغمهما وحسن تأليفهما من إيقاع موسيقي جذاب يعمل على خدمة الوزن والقافية ، لاكتمال اللحن الموسيقى العام .

والموسيقى الداخلية تبدأ " بالحرف كوحدة صوتية ، مروراً باللفظة المفردة حتى تصل إلى الشطر أو البيت الذى يقع في إطار القصيدة ككل ، وفي فلك موسيقاها الخارجية من وزن وقافية " [٢] ، " والانسجام الصوتي الداخلي الذى ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حيناً ، أو بين الكلمات بعضها البعض حيناً آخر ، يساهم بوضوح في البناء الكلى لموسيقى الشعر" [٣]، فإن وراء هذه الموسيقى الظاهرة موسيقى داخلية خفية

---

(١) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، للدكتور / مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، مطبوعات تهامة للنشر والمكتبات ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م ، ص١١٣ .

(٢) الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي ، أشرف على حسن دعدور ، مكتبة نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ٢٠٣ .

(٣) قضايا الشعر في النقد العربي ، للدكتور / إبراهيم عبد الرحمن محمد ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م ، ص ٣٦ .

لا تظهر إلا من خلال حسن اختيار الشاعر لكلماته ، ودقة ترتيبها ؛ للبعد عن التنافر والغرابة ، وبهذه الميزة يتفاضل الشعراء .

والرصافي من الشعراء الذين تميزوا بعذوبة ألحانهم، وحسن اختيارهم للألفاظ التي تبعد عن التنافر والصعوبة ، فيقول [١] :

وترى النجوم على ذراه كأنها ∴ من فوقه درٌ على تيجان
يجري النسيم الغضّ بين رياضه ∴ مرخى الذيول معطّر الأردان
جلت الطبيعة في رباه بدائعاً ∴ تكسو الكهول غضاضة الشبان

فهذا الانتقاء الدقيق لكلمات النموذج يعكس طرب الشاعر بالطبيعة ، وشدة إحساسه بها ، وبأوجه الجمال فيها فنلحظ من خلال الألفاظ الموحية بجمال الطبيعة، ومدى سعادة الشاعر بهذا الجمال مثل قوله: (وترى، ذراه ، درٌ ، يجري ، رياضه ، مرخى ، معطّر ، الأردان ، رباه) مما كان له عظيم الأثر في نفس المتلقي ، ومع تكرار حرف الراء في تناسق بديع للكلمات المنتقاه تشعر بالموسيقى الداخلية التي امتزجت مع الوزن والقافية، وهذه الموسيقى الخفية هي التي تحرك العاطفة ، وتثير الوجدان .

ومن النماذج التي تجلَّت فيها قدرة الشاعر الفنية في تطويع موسيقاه للاندماج مع الطبيعة ، ما جاء على لسان البلبل في قصيدة " أغرودة العندليب " والتي يطالب فيها البلبل بالحرية ، حيث يقول [٢] :

سمعت شعراً للعندليبِ ∴ تلاه فوق الغصن الرطيبِ
إذ قال نفسي نفسٌ رفيعهْ ∴ لم تهو إلا حسن الطبيعةْ

(١) الديوان ، ص ٢٣٨ .
(٢) الديوان ، ص ٢٤٨ .

عشقت منها حسن الربيع ∴ أحسن بذاك الحسن البديع
فالعيش عندي فوق الغصون ∴ لا في قصور ولا حصون
أطير فيها لفرط وجدي ∴ من غصن ورد لغصن ورد
وفي فروع الأشجار بيتي ∴ فالظل فوقي والزهر تحتي
فسل نسيم الأسحار عنّي ∴ كم هزّ عطف الأغصان لحني
وسل بشدوي زهر الرياض ∴ أني بحكم الأزهار راض
فكم زهور لِما أفوه ∴ أصغت وقالت : لا فضّ فوه
يا قوم إني خلقت حرّاً ∴ لم أرض إلا الفضا مقرّا
فإن أردتم أن تؤنسوني ∴ ففي المباني لا تحبسوني
وإن أردتم أن تنطقوني ∴ فأطلقوني .... فأطلقوني

ففي الأبيات السابقة يطوع الشاعر موسيقاه في إبراز جمال الطبيعة على لسان البلبل الذي ينادي بالحرية ، ويتغنى بأعذب الألحان ، وقد تنوعت الموسيقى في هذه الأبيات ما بين تصريع وطباق وجناس ، بالإضافة إلى التنويع في القافية [١] ، وهو ما يسمى بالتقفية لموافقة العروض للضرب في الروي ، وهذا التناغم الملحوظ من تقفية أبيات القصيدة ، أو تصريعها ، تماشيًا مع نغمات ألحان البلبل (للعندليبِ ، الرطيبِ / رفيعهْ ، الطبيعةْ/ الربيع ، البديع / الغصون ، حصون / بيتي ، تحتي / عنّي ، لحني / أفوه ، فوه / حرّاً ، مقرّا / تنطقوني ، فأطلقوني) زاد من جمال الإيقاع الموسيقى

(١) الشعر الذي تنوعت القافية فيه : يسمى بالمزدوج ، وفيه يعتمد الشاعر على تصريع أبيات القصيدة جميعاً ، وظهر هذا اللون بصورة واضحة وجلية في العصر العباسي ، لمجاراة الغناء، ينظر : تاريخ الأدب العربي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م- ١٩٩٥م ، الجزء السادس ، ص ١٢٨ .

داخل النص الإيكولوجي ، و رمز ــ أيضًا ــ إلى حسن الطبيعة في حرية البلبل ، وانتقاله بين الأغصان ، وأنه ما خلق إلا حرًا يطير ويشدو بأعذب الألحان ، وهنا يربط الشاعر بين موسيقى القصيدة وألحان البلبل في تناغم عجيب ، بين النص والطبيعة ، وغير ذلك من ألوان الموسيقى والنغم ، والتي تجلت في ألوان البديع من طباق وجناس وتكرار ومقابلات ، مما أكسب النص الإيكولوجي حركة إيقاعية رنانة أسهمت في استخراج مكنون النص ، واستنطاق عناصر الكون ، وهدم مركزية الإنسان وسيادته ، والتي تُعد من أهم سمات النقد الإيكولوجي ، بالإضافة إلى وضوح المعنى المراد عن طريق توظيف الموسيقى في خدمة النص .

وعالج الرصافي في هذه الأبيات بعض التعديات على البيئة والتي تحدث نتيجة سلوكيات خاطئة تنم عن سيطرة الإنسان ومركزيته وعنفه وعدوانه تجاه البيئة ، فعمل على تغيير سلوك المجتمع وعاداته السيئة في امتهان البيئة وتقييد حرية الكائنات الحرة الطليقة ، من خلال استنطاق البلبل بالموسيقى ، والألحان الجميلة ، فترك حرية الاختيار للمجتمع في قوله :

يا قوم إني خلقت حرّاً ∴ لم أرض إلا الفضا مقرّا

فإن أردتم أن تؤنسوني ∴ ففي المباني لا تحبسوني

وإن أردتم أن تنطقوني ∴ فأطلقوني .... فأطلقوني

وهنا يكشف الشاعر عن الوعي الإيكولوجي لدى الفرد والمجتمع ، من خلال توظيف تقنيات موسيقية رنانة منها التكرار في قوله (**فأطلقوني**.... **فأطلقوني**) ، والمقابلة بين المعاني في قوله (**تؤنسوني ، تحبسوني**) فها هو ذا يخير الناس بين أن يظل حبيسًا في المباني ولا يغني ، وبين أن ينطلق حرًا في الفضاء يشدو ويغني وهنا يتجلى الانتماء للمنظومة الإيكولوجية .

ومما ساعد في تناغم الوزن مع الطبيعة ، الانسجام بين الحروف ، وحسن التأليف بين مفردات النص ، والتي ساعدت في علو الإيقاع ، وجذب الانتباه ، وتحريك المشاعر ، وإيقاظ العقل ، ووضوح المعنى ، مما يشير إلى انتماء الشاعر إلى المنظومة الإيكولوجية واندماجه ضمن مكوناتها ، وقد استطاع الرصافي توظيف كل أدواته الموسيقية لخدمة المعنى العام للنص الإيكولوجي ، حيث يقول :

إذ قال نفسي نفسٌ رفيعهْ ∴ لم تهو إلا حسن الطبيعةْ
عشقت منها حسن الربيع ∴ أحسن بذاك الحسن البديع
فالعيش عندي فوق الغصون ∴ لا في قصور ولا حصون

فقد ساعد تكرار حرفي السين والصاد على إبراز المعنى وتعميقه بصورة موسيقية تطرب لها الآذان ، فلا يخفى على المتلقي ما لحرف السين والصاد من إيقاع موسيقي رنان متميز يقوم بدوره مع الوزن والقافية في تشكيل موسيقى النص بأكمله .

الخاتمة

الحمد لله الذى جعل لنا من العلم نوراً نهتدي به ، فلولاه ما جرى قلم، ولا تكلم لسان ، وهو يقول الحق و يهدي السبيل ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - ﷺ - كان أفصح الناس لساناً وأوضحهم بياناً ، عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين . أما بعد

فقد انتهيت بفضل الله تعالى وتوفيقه من إعداد هذه الدراسة والتي حاولت فيها أن أستجلي العلاقة بين الشعر والبيئة من خلال النقد الإيكولوجي، كما عملت هذه الدارسة على استخراج كل ما يمكن من مهارات فنية للمعجم اللغوي والصورة الشعرية والموسيقى من خلال النظرة الإيكولوجية الحديثة ، وقد تبنى هذا البحث مصطلح النقد الإيكولوجي ، بغية الوقوف على العلاقة بين النص البيئي وقائله .

<u>وقد أسفرت هذه الدراسة عن عدد من النتائج من أهمها :</u>

١-نظريات النقد الحديثة تخدم الشعر في كونها أداة ربط بين الشاعر ونتاجه فهي في منطقة وسطى بين الشعر والنقد الأدبي .

٢-النقد الإيكولوجي منهج جديد في القراءة والتحليل والتقويم، لا يمكن تصنيفه بأنه منهج خاطئ أوصائب ؛ لأن المجال النقدي مجال مرن يتقبل وجهات النظر المبنية على أسس ومناهج علمية مدروسة .

٣-عمل النقد الإيكولوجي في هذه الدراسة على إبراز حضور البيئة في النتاج الشعري ، والكشف عن التعالق النصي ، وما تخفيه البنية الجمالية من وعي بالبيئة .

٤-تنوعت المظاهر الإيكولوجية داخل شعر الرصافي ما بين تطبيع وتبيئو وألفة مع الطبيعية وتدمير لها .

٥-إن وجود هذه العدد الكبير من الألفاظ المتعلقة بالبيئة ، دليل على ثراء المعجم اللغوي عند الشاعر ، وخصوبة شعره من الناحية المعجمية .

٦-يُصنف شعرالرصافي بشعر المعاني والأفكار ، لا شعر الزخارف والمحسنات ؛ لاهتمامه بالمعنى وترك الاهتمام بالمنمقات والزخارف .

٧-تميز الرصافي بقوة لغته وبساطتها ، وجزالة أسلوبه ووضوحه بما يتماشى مع عصره فكانت لغته تميل إلى استخدام المفردات البسيطة والواضحة، لأن هدفه هو المجتمع بكل أطيافه .

٨- تميزت لغة الرصافي بتناغمها مع المنظومة البيئة ، نتيجة اعتناقه لأفكار الاندماج مع الطبيعة وعدم التعالي عليها ، والدعوة للمحافظة عليها ، ونشر الوعي الإيكولوجي بين أفراد المجتمع .

٩- يتميز شعر الرصافي بالحركة المستمرة والتي تشعر بها من خلال اختياره للألفاظ الإيكولوجية المتجددة والتي تنعكس على القارئ بالإيجاب فينجذب نحو القراءة أكثر وأكثر .

وختاماً : نستطيع القول: إن النقد الإيكولوجي؛ منهج نقدي يهتم بدراسة علاقة الإنسان بالبيئة والمكان؛ وأثر الأرض والطبيعة في الكتابات الأدبية؛ وقد حفل ديوان الرصافي بالرؤى الإيكولوجية المتناسقة ، والتي ترمز إلى أنسنة البيئة أو بيئة الإنسان من خلال الألفة معها ، وكأن الإنسان والطبيعة مشتركان في الأحداث ذاتها ، يلاقون المصير نفسه، والرصافي يُعد من ضمن الشعراء الذين تحملوا همَّ البيئة وعملوا من خلال أشعارهم الإيكولوجية على نشر العلاقة البيئية بين الإنسان والطبيعة والدعوة إلى المحافظة على البيئة وعدم التعدي عليها .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ديوان الرصافي ، الشاعر معروف الرصافي ، شرحه وصححه : مصطفى السقا ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٣م .

ثانياً : المراجع :

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، للدكتور / عبد القادر القط، مكتبة الشباب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
- أسرار البلاغة فى علم البيان ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .
- أعلام الأدب في العراق الحديث ، مير بصري ، تقديم : دكتور / جليل العطية ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م .
- أنسنة المكان في رويات عبد الرحمن منيف ، للدكتور / مرشد أحمد ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م .
- أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية ، للدكتور / محمد أبو الفضل بدران، مقال منشور في المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ، عن المجلس الدولي للغة العربية ، تاريخ النشر ٢٠١٥م ، دبي .
- البيئة ومشكلاتها ، رشيد الحمد ، ومحمد سعيد صباريني ، عالم المعرفة ، أكتوبر ١٩٧٩ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .
- تاريخ الأدب العربي ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف - مصر ، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م- ١٩٩٥م .

- حرية الأديب ورسالة الناقد ، للدكتور/ عيد عبد الرحمن قناوي ، دار الوفاق أسيوط ، ٢٠٠٢م .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الجزء الثالث ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ .
- رشيد دحدوح: مفهوم الطبيعة في الفكر الإيكولوجي المعاصر، مجلة فكر ونقد، العدد٩٤ ، المغرب، يناير ٢٠٠٨ .
- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، للدكتور / مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، مطبوعات تهامة للنشر والمكتبات ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .
- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .
- الصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق ، للدكتور / عبد القادر الرباعي ، دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .
- الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي ، أشرف على حسن دعدور ، مكتبة نهضة الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- الصورة والبناء الشعرى ، للدكتور / محمد حسن عبد الله ، دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- قضايا الشعر في النقد العربي ، للدكتور / إبراهيم عبد الرحمن محمد ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .
- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان.

- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لأبى الفتح ضياء الدين ابن الأثير، تعليق : الدكتور / أحمد الحوفى ، و الدكتور / بدوى طبانه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة .
- المعجم الأدبي ، للدكتور / جبور عبد النور ، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .
- المعجم المفصل في الأدب ، للدكتور / محمد التونجي ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٩م .
- المعنى خارج النص ، أثر السياقات في تحديد دلالات الخطاب ، فاطمة الشيدي، دار نينوى، دمشق ، ٢٠١١م .
- النقد الأدبي البيئي : النظرية والتطبيق ، للدكتور/ محمد أبو الفضل بدران، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٥م .
- النقد الإيكولوجي ، الدكتور / مايكل برانش ، ترجمة : معين رومية ، عدد ٣٦ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة .
- النقد البيئي في الأدب والفن ، جميل حمداوي ، حسن أعرب ، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م ، دار الريف للطبع و النشر الإلكتروني ، المملكة المغربية .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص	٤٣٣٩
٢	Abstract	٤٣٤٠
٣	مقدمة	٤٣٤١
٤	التمهيد: (النقد الإيكولوجي والشاعر)ويشتمل على محورين :	٤٣٤٥
٥	المحور الأول : النقد الإيكولوجي (مصطلح ونشأة)	٤٣٤٧
٦	المحور الثاني : الشاعر (إطلالة موجزة)	٤٣٥٠
٧	المبحث الأول : الرؤية الإيكولوجية عند الرصافي ـ وفيه:	٤٣٥٤
٨	أولاً : الفرار إلى الطبيعة والألفة معها	٤٣٥٥
٩	ثانياً : أنسنة الطبيعة	٤٣٦٠
١٠	ثالثاً : تطبيع الإنسان	٤٣٦٨
١١	رابعاً : تدمير الطبيعة	٤٣٧٢
١٢	المبحث الثاني : التشكيل الفني عند الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي ـوفيه:	٤٣٧٧
١٣	أولاً : المعجم اللغوي والإيكولوجيا	٤٣٧٨
١٤	ثانياً : الصورة الشعرية والإيكولوجيا	٤٣٨٣
١٥	ثالثاً : الموسيقى والإيكولوجيا	٤٣٩٠
١٦	الخاتمة :	٤٣٩٦
١٧	فهرس المصادر والمراجع :	٤٣٩٨
١٨	فرس الموضوعات	٤٤٠١